وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمـي
المركز الجامعي سي الحواس- بريكة
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علوم الإعلام والاتصال

مطبوعة بيداغوجية في مادة:

المقاربات الكمّية والكيفية 2

موجّهة لطلبة السّنة الأولى ماستر اتصال

السنة الدراسية: 2024- 2025

فهرست المحتويات

المحتوى	الصفحة
بطاقة توصيفية للمادّة	**06**
تقديم عام للمطبوعة	**07**
المحاضرة الأولى| مفهوم البراديغم العلمي وأهم البراديغمات المحورية في أبحاث الاتصال	10
تمهيد	10
1. ميدان الاتصال والحاجة إلى العلوم الأخرى	11
2. ماهية البراديغيم	12
3. البراديغمات المحورية في تناول أبحاث وموضوعات الاتصال	14
حوصلة	15
المحاضرة الثانية| عملياتية البحث: الفروق بين المقاربة المنهج، الأسلوب والأداة	16
تمهيد	16
1. مفهوم البحث الاجتماعي والمنهج	17
2. بين ثنائية المنهج – المنهجية	18
3. بين ثنائية المقاربة – المنهج	19
4. بين ثنائية الأسلوب – الأداة	19
5. بين ثنائية الأداة – التقنية	20
حوصلة	20
المحاضرة الثالثة | المنطلقات التّاريخية للبحوث الكمية والكيفية	21
تمهيد	21
1. مراجعة الإرث الفكري للمنهج الكمّي تاريخيًا	22
2. مراجعة الإرث الفكري للمنهج الكيفي تاريخيًا	23
3. النّماذج النّظرية المهيمنة في مجال البحث	25
حوصلة	27
المحاضرة الرّابعة| المنطلقات النّظرية للبحوث الكمية والكيفية	28
تمهيد	28
1. الأساسات النّظرية	29
2. خصائص المنهجين الكمّي والكيفي	30

3. عيوب إستخدامات المنهجين والكمّي والكيفي	33
حوصلة	34
المحاضرة الخامسة| بين المقاربة الكمّية والكيفية؛ فروق مفاهيمية ومعرفية	35
تمهيد	35
1. الفروقات المفاهيمية بين الكمّي والكيفي	36
2. الفروقات المعرفية بين الكمّي والكيفي	37
حوصلة	40
المحاضرة السّادسة|: بين المقاربة الكمّية والكيفية؛ فروق منهجية	41
تمهيد	41
1. الخطوات الإجرائية	42
2. الأهداف	44
3. الإحصاء كملمح محوري في البحث الكمّي	44
حوصلة	46
المحاضرة السّابعة| بين المقاربة الكمية والكيفية؛ المناهج المستخدمة في البحث الكمّي	47
تمهيد	47
1. أنواع المناهج العلمية	48
2. مناهج البحث الكمّي	49
1.2. المنهج المسحي	49
2.2. المنهج التّجريبي	50
3.2. المنهج المقارن	52
حوصلة	54
المحاضرة الثّامنة| بين المقاربة الكمية والكيفية؛ المناهج المستخدمة في البحث الكيفي	55
تمهيد	55
1. منهج التّحليل السيميولوجي	56
2. المنهج الإثنوغرافي أو منهج "دراسة الأعراق"	56
3. منهج تحليل الوثائق	59
4. المنهج التّاريخي	60
5. منهج دراسة الحالة	61
حوصلة	63

المحاضرة التّاسعة| بين المقاربة الكمية والكيفية؛ الأدوات والتقنيات "أدوات المقاربة الكمّية"	64
تمهيد	64
1. أدوات البحث الكمّي والتوجّه الواحد	65
2. أهم أدوات المنهج الكمّي المستخدمة في البحوث العلمية	66
1.2. الملاحظة العلمية	66
2.2. الإستبانة العلمية	67
3.2. المقابلة العلمية المقنّنة	70
حوصلة	71
المحاضرة العاشرة| بين المقاربة الكمية والكيفية؛ الأدوات والتقنيات "تقنيات المقاربة الكيفية"	72
تمهيد	73
1. تقنيات البحث الكيفي؛ أساليب متعدّدة.. رؤية واحدة	73
2. أهم تقنيات المنهج الكيفي المستخدمة في البحوث العلمية	75
1.2. الملاحظة العلمية بالمشاركة	75
2.2. المقابلة العلمية المعمّقة	78
3.2. تحليل المضمون الكيفي	81
4.2 المجموعات البؤرية	83
حوصلة	86
المحاضرة الحادية عشر| المزج بين المقاربتين الكمية والكيفية "المناهج المختلطة"	87
تمهيد	87
1. مفهوم المناهج المختلطة	88
2. الحاجة إلى توظيف المناهج المختلطة	88
3. فرص المزج بين المقاربتين أو التّكامل بينهما في بحوث علوم الإعلام والاتصال	89
4. تصميم المناهج المختلطة	91
5. إستخدامات المناهج المختلطة وصعوبة التّطبيق	93
حوصلة	94
خلاصة المطبوعة	95
قائمة المصادر والمراجع	96
قائمة المراجع باللغة العربية والمعرّبة	96
قائمة المراجع باللغات الأجنبية	100

فهرست جداول المطبوعة

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	جدول يوضّح خصائص ونماذج البراديغمات المحورية	14
02	جدول يوضّح الفرق بين المقاربتين الكمّية والكيفية أنطولوجيًا وابستيمولوجيًا	32
03	جدول يوضّح الفوارق الحاصلة في الخطوات الإجرائية بين المقاربة الكمية ونظيرتها الكيفية	43

فهرست أشكال ومخطّطات المطبوعة

رقم (ش.م)	عنوان الشكّل أو المخطّط	الصفحة
01	شكل يوضّح طبيعة المعطيات والحقائق بين الاستقرائي والكمّي	38
02	مخطّط (مستل) يوضّح تكامل البيانات الكمية والكيفية	89

بطاقة توصيفية للمادّة:

وفقًا لمواءمة عرض تكوين ماستر أكاديمي في "الاتصال والعلاقات العامّة" عن السّنة الجامعية 2023/ 2024 بالمركز الجامعي بريكة، ووفقًا لبطاقة السداسي الثاني، يمكن توصيف مادة هذه المطبوعة البيداغوجية في الآتي: (*)

- **المادّة:** المقاربات الكمية والكيفية (2)
- **وحدة التعليم:** ضمن وحدات التّعليم المنهجية
- **الرّصيد:** 03
- **المعامل:** 02
- **الحجم السّاعي الدّراسي:** يصل إلى 45 ساعة.
- **الحجم السّاعي الأسبوعي:** 03 ساعات للمحاضرة + الأعمال الموجّهة
- **المعارف المسبقة:** يحتاج الطّالب إلى الخلفية النّظرية والمنهجية التي كان قد حصّلها من تكوينه في طور الليسانس.
- **أهداف التعليم:** يهدف مقياس "المقاربات الكمّية والكيفية 2" أساسًا إلى تحضير الطّالب لإعداد وإنجاز مذكّرة التّخرج بالشّكل العلمي السّليم منهجيًا ونظريًا؛ وذلك بالتّركيز على البعد العملياتي/ التّطبيقي في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام وحقل علوم الإعلام والاتصال بشكل خاص، في محاولة للسّيطرة على سؤالين محوريين بمثابة هاجس حقيقي في مسار البحث: كيف أفكّر؟ وكيف أنجز البحث؟
- **نوع التقييم** :متواصل / امتحان.
- **البريد المهني للأستاذ:** Yakoub.benseghir@cu-barika.dz

(*) مواءمة عرض تكوين ماستر أكاديمي في تخصص "الاتصال والعلاقات العامّة"، فرع علوم الإعلام والاتصال، قسم العلوم الإنسانية، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي بريكة، الموسم الجامعي 2023/ 2024، ص ص 01 – 43.

تقديم عام للمطبوعة

تعتبر لقاءات "المقاربات الكمّية والكيفية" في شقّها الثّاني "السداسي الثّاني"، من أهمّ وأنفع الجلسات الفكرية والمنهجية بالنّسبة لطلبة السّنة الأولى ماستر تخصص الاتصال، لاعتبار أنّ البحث في الظّواهر الإعلامية والموضوعات الاتصالية يستلزم وعيًا بمسارات التّفكير المنهجي والتّموقعات الإبستيمولوجية؛ حيث يتعيّن على الباحث هنا وقبل الانطلاق في مشروع بحثه أن يقف بمسافة عن ما يريد الاشتغال عليه، ليستوعب الظّاهرة ويُفكّر جيّدًا قبل خوض تجربة "البحث". وبالتّالي فإنّ مادة "المقاربات الكمّية والكيفية" هي بمثابة التّمرين الفكري والمنهجي للطّالب، يتعلّم فيها أساسات إنجاز البحث العلمي السّليم وسبل إنتاج المعرفة العلمية في مجال تخصّصه، وحتى في تخصّصات مقاربة تندرج ضمن حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية.

إنّ التّموقع الابستيمولوجي الواعي في ممارسة النّشاط الفكري/ البحثي، يجعل الباحث أقرب إلى فهم الظّواهر الإعلامية والاتصالية التي يريد البحث فيها، من خلال فهم وإدراك الواقع بالكيفية الصّحيحة والمناسبة، ومن ثمّة فهم العالم وظواهره المختلفة، انطلاقًا من فكرة تحييد الموضوعية وتجاوز الحقيقة المطلقة واليقينية في نظرته للعلم، للأشياء وللأحداث والمواقف. باختصار لا بدّ من التّعاطي مع الحقيقة على أنّها غير قابلة للاختزال وتتجاوز كل تبرير مثالي كما يقر Habermas. أو كما يشير Karl Popper إلى أهمية تفادي النّظر للحقيقة الاجتماعية على أنّها معارف يقينية وإنّما هي "حالات معرفية انتقالية" تحمل في داخلها فكرة القابلية للدّحض. (لوصيف، 2016)

إنّ هذه المطبوعة البيداغوجية تستلهم بشكل أو بأخر من هذا الطّرح المصيري، مسألة أولوية تعلم الطّالب مبدأ "التّموقع الابستيمولوجي" وأخذ حيّز تفكير جيّد، قبل إنجاز وإعداد البحوث العلمية بخطواتها المنهجية كما تعلّمها في السّنوات السّابقة، حيث نحاول من خلال هذه المحاضرات المسطّرة تدريب الطّالب أوّلًا على كيفية نظرته للمشكلات العلمية التي يثيرها ضمن دائرة تخصّصه، والطّرائق المتاحة أمامه في فكها – باعتبارها ألغازًا علمية ولّدها الواقع المعيش بكل ظواهره – وكذا الزّوايا التي ينبغي أن لا يغفل عليها في مسار رصده ومتابعته للموضوعات المدروسة، قبل التّفكير أصلًا في المناهج والأدوات والتقنيات والمسارات المنهجية المختلفة التي سيتبعها.

وقوفًا على تصوّرنا الخاص للمادة التّعليمية وانطلاقًا من الهدف المحوري الذي نرمي إلى تحقيقه، تُستهل هذه المطبوعة **بمحاضرة افتتاحية** جوهرية حول "مفهوم البراديغم العلمي وأهم البراديغمات المحورية في أبحاث الاتصال"، حيث نتناول فيه ميدان الاتصال وحاجته إلى العلوم الأخرى، ثم مفهوم البراديغم وأهميته، لاعتبار أنّ البراديغم يُمَثل إطارًا مرجعيًا نستند إليه أو نموذجًا في كيفية تفكيرنا حيال الأحداث والمواقف والظواهر المختلفة التي تحيط بنا في واقعنا، قبل أن نعرّج إلى أهم البرديغمات المحورية والمسيطرة في تناول موضوعات وأبحاث الاتصال فيما له علاقة بالمقاربة الكمية والكيفية.

المحاضرة الثّانية وهي محاضرة ايضاحية حول "عملياتية البحث: الفروق بين بعض الثنائيات البحثية" وفيها نسعى إلى تذليل دلالات بعض المفاهيم المتقاربة في منهجيات البحث؛ ذلك أنّ حقل المنهجية العلمية يعجّ بالعديد من المفاهيم المتشابكة والمتداخلة، خصوصًا ثنائيات (منهج – منهجية) (مقاربة – منهج)، (أسلوب – أداة)، (أداة – تقنية)... وغيرها. وواقع البحث العلمي يثبت حقيقة هذا التّداخل القوي في المصطلحات والمفاهيم خصوصًا في سياقنا البحثي المحلي، الذي يظل رهينًا في غالبه للإنتاج المعرفي الغربي.

أمّا **المحاضرة الثالثة** فتخوض في "المنطلقات التّاريخية للبحوث الكمية والكيفية" ، ومن خلالها نستعيد الذّاكرة التّاريخية مع بداية المقاربتين الكمية والكيفية، وحقيقة التّضارب الحاصل حول أقدمية منهج على أخر، وذلك من خلال الوقوف عند أولى الإسهامات والأطروحات الفكرية التي برزت مع كل اتجاه. قبل أن نقف عند أهم النّماذج النّظرية المهيمنة في مجال البحث، والتي انبثقت بشكل أو بأخر من هذين المنظورين.

في المحاضرتين المواليتين نتناول أهم الفروقات والاختلافات الحاصلة بين المقاربتين الكمية والكيفية؛ إذ تستفيض **المحاضرة الرّابعة** في تناول أهم الاختلافات الحاصلة على المستوى النّظري، فيما تفصّل **المحاضرة الخامسة** في الاختلافات والفوارق الحاصلة على المستوى المفاهيمي "التّصوراتي" وكذا المعرفي، مع أنّه ووفق مراجعتنا للإرث الفكري المتاح، وبحثنا وتجميعنا للمادة التّعليمية، وجدنا أنّ هنالك تقاربا كبيرًا بين المستويات الثّلاثة "النّظري، المفاهيمي والمعرفي" بين المقاربتين، والتي هي على امتداد واضح مع الأصول التّاريخية لكلا الاتجاهين – موضوع المحاضرة التي تسبقهما –.

في **المحاضرة السّادسة** والمعنونة بِـ "بين المقاربة الكمّية والكيفية؛ فروق منهجية"؛ نتحدّث فيها عن أهم الفوارق والاختلافات بين المقاربتين من الجانب المنهجي، فطبيعة الإجراءات التي يتطلّبها المنهج الكمّي تختلف عن طبيعة إجراءات المنهج الكيفي وعلى مستويات مختلفة. حيث سنقف عند ثلاث مستويات محورية في منهجيتي المقاربة الكمّية والكيفية؛ المستوى الأول يرتبط بالخطوات الإجرائية، أمّا المستوى الثّاني فيتعلّق بالأهداف، فيما المستوى الثّالث يناقش ملمح "الإحصاء" وخصوصيته في المنهج الكمّي ومبررات شيوعه في السّياق البحثي المحلّي.

أمّا في **المحاضرة السّابعة** "بين المقاربة الكمية والكيفية؛ المناهج المستخدمة في البحث الكمّي" فسنركّز فيها على أهم المناهج الشّائعة في هذا الاتجاه؛ وبالأساس المنهج المسحي، المنهج التّجريبي ثم المنهج المقارن. فيما **المحاضرة الثّامنة** "بين المقاربة الكمية والكيفية؛ المناهج المستخدمة في البحث الكيفي" يتم التّركيز فيها على منهج التّحليل السيميولوجي، منهج دراسة الأعراق أو ما يعرف المنهج الإثنوغرافي مع الإشارة إلى المنهج "النتنوغرافي" كامتداد للإثنوغرافيا التّقليدية، ثم منهج تحليل المحتوى الكيفي، المنهج التّاريخي، ومنهج دراسة الحالة.

أمّا في المحاضرتين المواليتين، نتناول فيهما الأدوات والتقنيات المستخدمة في المقاربتين الكمية والكيفية؛ إذ في **المحاضرة التّاسعة** نتوقّف عند أهم أدوات المنهج الكمّي والمتمثّلة أساسًا في الملاحظة العلمية ذات الطّابع الكمّي، الاستبانة العلمية والمقابلة العلمية المقنّنة.. أمّا في **المحاضرة العاشرة** فنتوقّف عند أهم التقنيات البحثية المستخدمة في المقاربة الكيفية أو النّوعية، والمتمثّلة تحديدًا في الملاحظة العلمية بالمشاركة، المقابلة العلمية المعمّقة، تحليل المحتوى الكيفي والجماعات البؤرية.. على أن نحاول عند تقديمنا واستعراضنا لهذه الأدوات والتقنيات أن نشير إلى خصوصية استخدامها الحذر، تماشيًا وطبيعة مسار البحث وأهدافه.

لتُختتم سلسلة هذه المحاضرات **بالمحاضرة الحادية عشر** والمعنونة بِـ "المزج بين المقاربتين الكمية والكيفية "المناهج المختلطة"؛ وفي ضوئها نستعرض مفهوم المناهج المختلطة (mixed methods)، الحاجة إلى توظيف المناهج المختلطة، فرص المزج بين المقاربتين أو التّكامل بينهما في بحوث علوم الإعلام والاتصال، تصميم المناهج المختلطة، وكذا استخدامات هذا النّوع من المناهج وصعوبة تطبيقها على أرض الواقع.

المحاضرة رقم 01 | مفهوم البراديغم العلمي وأهم البراديغمات المحورية في أبحاث الاتصال

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة الافتتاحية إلى تحقيق الأهداف الجزئية الثلاثة الآتية:

1. الوقوف على فكرة حاجة علوم الإعلام والاتصال إلى التّخصصات العلمية الأخرى في إطار الّتجاسرية.
2. التّعرف على مفهوم البراديغم وعلاقته بالبحوث العلمية.
3. التّعرف على أهم البراديغمات المحورية في تناول أبحاث وموضوعات الاتصال؛ جذورها، خصائصها ونماذج دراستها.

تمهيد:

في مستهلّ هذه المحاضرات لا يمكن تناول مفهوم "" البراديغم" دون الوقوف عند مفهوم "البحث"؛ والذي يشير – نقلًا عن Cambridge Dictionary – إلى طريقة جمع معلومات دقيقة وموثوقة بغية تطوير المعرفة، والبحث يشير إلى علمية جمع البيانات وتصيفها وتفسيرها/ تأويلها بغية اكتشاف معلومات جديدة أو الوصول إلى فهم جديد. (دليو، 2022، صفحة 17) والبحث منهجيًا وعلميًا يعني أن نبحثَ ثم نبحث مرّة ثانية أو من جديد، أعمق وأدق. وهنا يمكن الفرق بين من يفتّش search وبين من يبحث re-search. (شيّا، 2018) والبحث في حقل الإعلام والاتصال كما العلوم الإنسانية والاجتماعية لا يتحقّق بعيدًا عن تبنّي الباحث ليراديغم علمي يعدّ بمثابة موجّه للبحث وإطار تصوري يلتزم به في مسار فهم الواقع والظّواهر قيد الدّراسة.

في هذه المحاضرة، سنتوقف عند مفهوم البراديغم والمعاني المختلفة التي يُحيل إليها، ثم ننتقل إلى خصوصية البحث في ميدان الاتصال الذّي يبقى بحاجة إلى لتّخصصات الأخرى.

1. ميدان الاتصال والحاجة إلى العلوم الأخرى.

يعد البحث في ميدان علوم الاتصال والإعلام واحدًا من أعقد التّحديات العلمية التي تواجه الباحثين وذلك لباعثين رئيسين؛ أما الأول فلكونه علمٌ سليل العلوم الانسانية والاجتماعية التي توصف مشكلاتها وموضوعاتها بالتجريد واللّا ثبات والنّسبية، فيما الثاني فيرتبط بالميلاد الحديث والعسير – في آن – لميدان لا يزال يبحث عن ماهيته العلمية ويرافغ لموضوعات خاصّة ومستقلة ينفرد بها في مسار خلق هوية معرفية أكثر استقلالية، ؛ وقد أشار السوسيولوجي الفرنسي Domminique Wolton لهذا الطّرح في قوله: (Cabin et autres, 1998 p. 50)

> **"إنّ ميدان الاتصال لا يستطيع بل لا يجب أن يكون موضوع علم موحّد، فهو بطبيعته ميدان متشعّب يخص ثلاث قطاعات كبرى والتي تتمثّل في العلوم العصبية، العلوم المعرفية والعلوم الاجتماعية. كما يخص العديد من التّخصصات على غرار الفلسفة، الانثروبولوجيا، علم الاجتماع، الجغرافيا، التّاريخ، الحقوق، العلوم السياسية وعلم النّفس..."**

إنّ النّظر لموضوعات وظواهر الاتصال والإعلام، يضعنا أمام اعتبار النّقاط الآتية:

- تعددية التّخصصات Multidisciplinarity أو ما يعرف بالتّجاسرية، أو التّحاقلية.
- النسبية في المعرفة العلمية.
- مرونة الاجراءات المنهجية في معالجة الظّواهر المدروسة.
- ظواهر قيد التشكل والبناء.
- الحاجة إلى التّركيم العلمي/ التّراكمية المعرفية.

وعلوم الإعلام والاتصال كحقل فكري غالبًا لا يبتعد عن هذه الرؤية، وهي العلوم التي تستند أبحاثها إلى طبيعة الاتصال وفي ثلاثة محاور: (سعد، 2011 الصفحات 25 – 26)

- **الجوانب الاجتماعية والثقافية لوسائل الاتصال،** وفيها يتم تناول مسائل تأثيرات الصحف، السينما، الإذاعة، التلفزيون... على السلوكيات، تعزيز الآراء أو تغيير القيم (وهذا يدرس من زاوية التفاعلية).
- **محتوى الرسائل أو المضامين الإعلامية،** دراسة رسائل الأفراد كمساحات لإنتاج المعنى. وتحليل الرّسائل يخضع لمقاربتين محوريتين هما التحليل التّقليدي والتحليل السيميائي.

- **الاتصال المنظّم؛** التنظيم باعتباره يشكّل أرضية ملائمة لدراسة الاتصال، ومن غير الممكن فصل الاتصال عن التّنظيم.

2. ماهية البراديغيم:

من المهم الإشارة إلى للعلم تاريخ، وثنائية (العلوم الانسانية الاجتماعية) ظلت في خط النقاش العلمي، وهناك فكرة: (سعد، 2011) فالباحث في علم الاجتماع، الإنجليزي إيان كريب Ian Craib، والمحاضر في جامعة إكسس في بريطانيا، يلاحظ أن من المفارقات أن أحد أهم الكتب المؤثرة في علم الاجتماع منذ زمن، لم يكن في علم الاجتماع على الإطلاق، بل في تاريخ العلوم الطبيعية، وهو كتاب توماس كون Thomas Kun "بنية الثورات العلمية The structure of scientific revolutions.

والمحصّلة أنّ البراديغم هو مجموعة القوانين والتقنيات والأدوات المرتبطة بنظرية علمية والمسترشدة بها، والتي بها يمارس الباحثون عملهم، ويديرون نشاطهم، وحالما تتأسس تتخذ اسم العلم العادي. ويشير توماس كوهن Thomas Kun بالبراديغم إلى مسألتين؛ الأولى تم استخدامه باعتباره يحمل مجموعة من المعتقدات والقيم والتقنيات المشتركة بين أعضاء جماعة معيّنة، والمسألة الثانية يشير إلى الحلول الملموسة للألغاز... (سعد، 2011)

ويُمَثل البراديغم إطارًا مرجعيًا نستند إليه، أو نموذجًا في كيفية تفكيرنا حيال الأحداث والمواقف والظواهر المختلفة التي تحيط بنا في واقعنا، وذلك بالاستناد إلى مجموعة من التصورات والمعتقدات والمفاهيم والنّظريات المنسجمة التي تمثّل وجهة نظرنا ونظرتنا لهذا الواقع... وبناءً على هذا يمكن القول أن البراديغم يحتاج الى استحضار القيم، المعتقدات، التّصورات، المعايير والقواعد.

ويعرض **توماس كوهن** أربعة خصتئص أساسية للبراديغم، وهي:

- يحتوي على قوانين، تعريفات وتعميمات رمزية Modelization، وكلما زاد عددها، استقوى العلم.
- يحتوي على نماذج ميتافيزيقية واعتقادات Beliefs معيّنة، تمنح للمجموعة العلمية استلهام الرموز والاستعارات لتبسيط النّظرية العلمية.
- يحتوي قيم Values من قبيل تمساك النّظرية العلميو مع اتساقها الدّاخلي واكذا انسجامها مع الواقع.

- يحتوي على نماذج Exemples في شكل معارف ضمنية، تكتسب عن طريق ممارسة العلم. (سرّاي، 2018، الصفحات 396 – 397)

ربطًا بما سبق، البراديغم يقدّم الأسئلة والحلول في الوقت ذاته، ما يعني أنّ العلماء يشتغلون وفقه، مع جعل النظرية والتجربة في توافق محدّد مسبقًا بفضل الجهاز المفهومي المتمثّل أساسا في المسلّمات والإجراءات التي ينخرط في استيعابها وكشفها العالِم أثناء ممارسته للنّشاط العلمي، فالعالِم لا يدرك العالَم إلا من خلال البرادبغم. وهذا الأخير يشتغل على إقصاء كل الوقائع التي لا تنسجم مع طبيعته. ليتخلّى عنها الباحث فيما بعد. في هذا الصّدد يقول **كوهن:** "عادة يكون البراديغم المطوّر من أجل مجموعة من الظواهر غامضًا في تطبيقه على ظواهر قريبة جدًا، فعندئذٍ تكون التجّارب ضرورية للاختيار بين الطرائق البديلة لتطبيق البراديغم في المجال موضوع الاهتمام". (سرّاي، 2018، صفحة 400)

من هذه الزّاوية: البراديغم = النّموذج الفكري = القياس = الإطار النّظري = الجهاز التّصوري = المنظور = الرؤية... فهو يشير إلى نمط تفكير ضمن أي تخصص علمي أو موضوع مرتبط بنظرية المعرفة.

إنّ البراديغم باعتباره نموذجًا بحثيًا هو أكثر بكثير من مجرد مقاربة منهجية بسيطة فهو يحدّد الطريقة التي ندرك بها الواقع ونصيغ الأسئلة ونفسر النّتائج. (Mebarki, 2025) أي أنّ التّفكير السّليم عند تناول الموضوعات والظّواهر العلمية يقتضي على الباحث تبني براديغم وجهاز تصوري علمي من البداية، حتّى يسهم في حل المشكلات التي تعترضنا وتقرّبنا أكثر من فهمنا للواقع الاجتماعي.

3. البراديغمات المحورية في تناول أبحاث وموضوعات الاتصال:

يمكن هنا عرض أهم ملامح البراديغمات المحورية من حيث الجذور، الخصائص والنّموذج، في الجدول الآتي:

	البراديغم السيبرنطيقي	البراديغم السلوكي	البراديغم الوظيفي	البراديغم التأويلي
الجذور	متجذّر من النّموذج النّسقي	متجذّر من النّموذج السيكولوجي والوضعية	متجذّر من الوضعية	متجذّر من المثالية الألمانية
الخصائص	– الاتصال والمراقبة في الآليات والإنسان – علوم الأنساق الموجّهة والمراقبة تشير إلى تنظيم تلقائي...	نموذج الإثارة – الإستجابة حيث أنّ لكل اثارة ما استجابة ملائمة، ذات خصائص مرئية (يمكن ملاحظتها) تفترض ردّات فعل انتقائية.	– إدراك المجتمع كوحدة عضوية، حيث أنّ العناصر توضّح وتفسّر من خلال الوظيفة التي تشغلها. –الحقيقة الاجتماعية موضوعية. – البحث عن الكل/ العام.	– فهم المعاني التي تقع في الأفعال الاجتماعية. تحليل المعاني الذّاتية التي ترتبط بتأويل الواقع الانطلاق من فكرة أنّ المجتمع بناء مركّب من التّجارب الشّخصية للأفراد.
النّموذج	يكون في حقل الاتصال المنظّم، دراسة شبكات الاتصال، معاينة ترابط سلسلة الاتصال في عناصرها	يكون عند دراسة: – تأثير وسائط الاتصال على الجمهور – دراسة الدّعاية والإقناع – محاولة فهم قوة السلطة أو الوسيلة – دراسة تأثير وسائك الاتصال الجماهيري	يكون عند دراسة: – الاستخدام والاشباع (استخدامات الجمهور لوسائط الاتصال والاشباعات المحقّقة) – في دراسة الاتصال المنظّم، بلكن عند التّركيز على الأدوار والوظائف	– يكون في الاتصال المنظّم، المقابة الطبيعية والثقافية، – دراسة الأساطير. الطقوس، الشعائر... الأنساق الرمزية في التنظيم. – دراسة محتوى الاتصال كعملية سوسيو ثقافية.

جدول رقم (01) يوضّح خصائص ونماذج البراديغمات المحورية (سعد، 2011 صفحة 28)

حوصلة:

مع نهاية هذه المحاضرة نخرج بثلاث أفكار جوهرية؛ **أوّلها** أنّ تبنّي الباحث لبراديغم علمي يوجّه تفكيره حيال الأشياء والأحداث المرتبطة بواقعه يعتبر ضرورة علمية لممارسة النّشاط البحثي السّليم، ذلك أنّ البراديغم لصيق بجملة المفاهيم والنّظريات المحورية الأساسية التي تؤطّر رؤيته ووجهة نظره لموضوعات بحثية يشتغل عليها، **ثانيها** أهمية التّفكير في مسالة "تعددية التّخصصات" Multidisciplinarity خصوصًا مع علوم الإعلام والاتصال التي تظلّ تخصصًا علميًا مرتبطًا بشكل وثيق مع التّخصصات العلمية الأخرى، وهذا الارتباط يزيد من التّراكمية المعرفية التي تعدّ ضرورية للحفر أكثر في الحقائق العلمية ذات الصّلة بالظواهر والموضوعات المدروسة في علوم الإعلام والاتصال، ما يزيد من فرص تطوير المعرفة وتقديم الإضافة المنجزة للمجال. **ثالثها** أنّه ينبغي على الباحث أثناء ممارسته للنشاط البحثي أن يتموقع إبستمولوجيًا؛ والتّموقع الابيستمولوجي Posture épistémologique يُشير إلى ذلك الإطار المرجعي أو البارادیغم الابستيمولوجي للمعرفة، كما أسماه كوهن Kuhn والذي يتّخذه الباحث إطارًا مرجعيًا في البحث. فالتّموقع الابستمولوجي الذي يختاره الباحث هو الذي يوجّه فكره وافعاله وأدواته المنهجية.

المحاضرة رقم 02| عملياتية البحث: الفروق بين المقاربة المنهج، الأسلوب والأداة

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة الثانية إلى تحقيق الأهداف الجزئية الخمسة الموالية:

1. الوقوف على **المفاهيم العلمية** الأساسية المرتبطة أساسًا بفكرة المقياس، وهي البحث، البحث الاجتماعي والمنهج.
2. التّعرف على طبيعة االفارق الحاصل بين ثنائية **المنهج والمنهجية.**
3. التّعرف على طبيعة الفارق بين ثنائية **المقاربة والمنهج.**
4. التّعرف على طبيعة الفارق بين ثنائية **الأسلوب والأداة.**
5. التّعرف على طبيعة الفارق بين ثنائية **الأداة والتقنية.**

تمهيد:

يعج حقل المنهجية العلمية بالعديد من المفاهيم المتشابكة والمتداخلة، ويمكن الحديث عن بعض منها (منهج – منهجية)، (مقاربة – منهج)، (أسلوب – أداة)، (أداة – تقنية)، (الوسيلة، الطريقة، الإجراء والعملية)... وغيرها من المفاهيم التي تتطلب وقفة مفاهيمية ودلالية معرفية. إنّ واقع الحال يثبت هذا التّداخل القوي جدًا في المصطلحات والمفاهيم خصوصًا في السّياق البحثي المحلي، الذي هو رهين في غالبه للإنتاج المعرفي الغربي، والذي أحدث بطريقة او أخرى "أزمة مصطلحات" بالنّظر إلى عمليات التّرجمة الحاصلة بداخله.

1. مفهوم البحث، البحث الاجتماعي والمنهج

1.1. البحث:

للبحث تعريفاتٌ كثيرة تدور بالمجمل حول المعلومات وطرائق تسييرها وكيفيات تحصيلها، ويمكن في هذا الجانب عرض جملة من التّعريفات المختلفة لمفهوم للبحث: (بن الصغير ي.، 2023، صفحة 11)

يشير Polansky في كتابه Social Work Research إلى البحث، على أنه استقصاء حذر يتحرّى الأدلة والشّواهد التي تحوم حول مشكلة محدّدة، فيتم البحث عن الحلول لهذه المشكلة. كما يعرف **البحث** على أنّه نشاطٌ منظّم يُجريه باحث أو فريق بحث من أجل فك مشكلة أو مجموعة مشكلات في محاولة اكتشاف واختبار علاقات جديدة بين متغيّرات مختلفة أو معلومات محيّنة، أو تصحيح أو تحقيق أو تطوير الحقائق والمعلومات الحالية.

إلى هذا، البحث هو عملية فكرية يقوم بها شخص يسمّى "الباحث" من أجل تقصي الحقائق حيال مسألة أو مشكلة معيّنة تعرف بـ "موضوع البحث"، وذلك عن طريق عملية مخطّطة ومنظّمة تسمّى بـ "منهج البحث"، بغية الوصول إلى حلول مناسبة أو إلى نتائج قابلة للتّعميم على المشكلات المماثلة وتسمّى بـ "نتائج البحث".

2.1. البحث الاجتماعي:

البحث الاجتماعي يقصد به طريقة التفكير وأسلوب في النظر إلى الواقع، بحيث تصبح معه المعطيات التي تمّ جمعها واضحة في ذهن الباحث. كما يعرّف البحث الاجتماعي بكونه طريقة التفكير المنظم أو المعرفة المنظّمة التي تتشرّط من الباحث استخدام المنهج العلمي عند إجرائه للباحث. (القاسم، 2021، صفحة 337) بهذا الطرح يمكن القول أن البحث الإعلامي والاتصالي باعتباره بحثًا اجتماعيًا أيضًا هو طريقة تفكير وأسلوب نظر الباحث للظواهر الإعلامية والاتصالية التي يقوم بدراستها، بغية فهمها واستيعاب مختلف أبعادها.

3.1. المنهج:

للمنهج أهمية بالغة في البحوث العلمية، ولا أجدر هنا من إعادة ما نقله Maurice Angers عن Festinger & Katz بالقول [...] مهما كان موضوع البحث، فإنَّ قيمة النَّتائج تتوقَّف على المناهج المُستخدمة. وبشكل عام يمكن اعتبار المنهج في أبسط توضيح له هو "كيفية تصور وتخطيط العمل حول موضوع دراسة ما، بحيث يتدخَّل هذا المنهج في كل مراحل البحث، أو في مرحلة ما على وجه التَّحديد". (بن الصغير ي.، 2023، صفحة 24)

2. بين ثنائية المنهج – المنهجية:

في واقع الأمر تتداخل وتصطدم الكثير من المفاهيم العلمية على هذا المستوى، فنجد بعض الباحثين يستخدم لفظ المنهج كمرادف للمنهجية والعكس يصدق، حتّى في طبيعة المقياس هنالك من يقول المنهج الكمّي والكيفي وهنالك من يقول المنهجية الكمّية والكيفية، وإن كان هذا الاستخدام المرادف مقبول في وضع ماا، إلّ أنّ هنالك بعض الفوارق الحاصلة بين التّسميتين.

في هذا المقام يذهب Mebarki بالقول أنّ "المنهجية" تدرس المبادئ والأسس النّظرية التي تقوم عليها الأساليب المستخدمة في البحث، وتوفر إطارًا لتبرير خياراتنا المنهجية. وفي الجانب المقابل، يشير "منهج البحث" إلى الأدوات أو التقنيات أو المناهج المحدّدة والمستخدمة لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها. وتتصف **المنهجية** بكونها: (Mebarki, 2025, p. 02)

- انعكاس نظري ونقدي، وبالتالي فهي أكثر تجريداً من منهج البحث.
- تجيب عن السؤال "لماذا؟" أي لماذا تعتبر طريقة معينة أكثر ملاءمة أو فعالية من غيرها؟
- تحدد المفاهيم والنماذج (الكمية/النوعية)، والاعتبارات الأخلاقية.

بالمقابل، يتّصف **منهج البحث** بكونه:

- تطبيق عملي في الميدان.
- يجيب عن السؤال "كيف؟" أي كيف ينبغي إجراء البحث ميدانيًا؟
- يمكن أن كون البحث كمّيًا أو كيفيًا أو مختلطًا.

3. بين ثنائية المقاربة – المنهج:

لا بدّ من الانتباه إلى أنّ هنالك تقارب رهيب جدًا بين المفهومين، خصوصًا في السياق البحثي المحلي الذي جعلهما مترادفين، لكن بمنطق اللغة والإجراءات البحثية والمنهجية هنالك اختلاف بين المفردتين؛ فالفارق يتمظهر من خلال الرؤية من الأعم إلى العام إلى الخاص فالأخص؛ المقاربة تشمل المنهجية، والتي بدورها تشمل المنهج (دليو، 2024) وإن كانت هذه النقطة الأخيرة التي أدلى بها دليو " تحيلنا إلى أنّ التقنية أعم من الأداة" ، وهو ما نختلف معه فيه، لاعتبارات نثيرها فيما بعد.

ماذا يعني هذا؟ يعني أنّ المقاربة هي أشمل من المنهج بل هي التي تَحدّد المنهج، ومن ثمّ فإنّ المنهج هو جزء من المقاربة وقبلها هي جزء المنهجية المتّبعة.

4. بين ثنائية الأسلوب – الأداة.

يعتقد الأستاذ **نصر الدين لعياضي** أنّ هنالك فعلًا لبس إن لم يتوفر قدرًا من الحذر في التّعامل بين أسلوب البحث وأداته نظرًا لارتباطهما. لكن هذا لا يعني حسبه أنّهما مرادفان؛ فأسلوب البحث يقصد به طريقة البحث أو المنهج الذي يسلكه الباحث في مسار البحث، ولا يمكن الحديث عن المسار دون التّوقف عند "الأدوات" التي تجسّد هذا المسار. **(لعيّاضي، 2024)**

وعادة ما يقترن أسلوب/ منهج البحث بنوعية البحث، والتي تصنّف حسب مجال تطبيقه، وهي بحوث وصفية، تجريبية، استكشافية، تأويلية. والتّصنيف الثّاني الذي يستند إلى نوع البيانات المطلوبة في البحث، أو التي تقترن بالمنهج، وهنا تصنّف البحوث إلى كميّة وكيفية. (لعيّاضي، 2024) تأسيسًا على ما سبق فإنّ **أدوات البحث** هي **العدة** التي تسمح بجمع البيانات الضّرورية لإنجاز البحث، بينما **الأسلوب** هو **المسار أو الطّريقة الشاملة** التي سيسلكها الباحث في بحثه، والتي تتضمّن بالضّرورة الأدوات المستخدمة.

عمليًا أسلوب البحث أشمل وأعم من الأدوات، فالأسلوب يحيل إلى السؤال "كيف أبحث؟" أما الأداة فتحيل إلى السؤال "بماذا أبحث؟"، والتي تدخل ضمنيًا في أسلوب البحث.

5. بين ثنائية الأداة – التقنية:

تستخدم كلمة الأداة أكثر حينما يكون الباحث في مسار المنهج الكمي، بينما كلمة التقنية تستخدم أكثر بل ويستحب استخدامها عندما يوظف الباحث المنهج الكيفي؛ ذلك أنّ الأداة لها طريقة استخدام واحدة في الغالب فمثلًا حينما يستخدم الباحث "الاستبيان" يكون المسار واحد في الغالب وعمليات ضبط الاسئلة، تجميع البيانات وتفريغها في الغالب بطريقة متشابهة، على عكس "التقنية" التي تحيلنا إلى إمكانية استخدامها بأكثر من وجه، نظرًا لإمكانية تطويعها ومرونتها، فعلى سبيل المثال "الملاحظة بالمعايشة" تختلف من باحث إلى أخر بحسب الرؤية، الخلفيات عن الموضوع، التّجارب السّابقة، سياق الملاحظة، المهارات... وغيرها.

هذا لا يعني أنّه لا يمكن استخدام المفردتين (أداة – تقنية)، كمرادفين في منهجية البحث العلمي، لكن فقط عملية التّدقيق في دلالتهما تكشف لنا أنّ هنالك فارقًا وإن كان بسيطًا في الاستخدام اللّفظي والدّلالي. وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول أنّ الاستبيان، المقابلة، وتحليل المضمون ذو المنحى الكمّي هي أدوات، بينما الملاحظة بالمشاركة، المجموعات البؤرية، السّير الذّاتية، مقابلة المواجهة، التّوصيف المكثّف... وغيرها "تقنيات" بحثية.

حوصلة:

في نهاية هذه المحاضرة لا بدّ من التّأكيد أنّ هنالك تشابه كبير جدًا بين هذه المفاهيم المنهجية، وهذا التّشابه لا يعدّ مشكلة في مسار البحث العلمي، بقدر ما يؤشّر عن ثراء التصّورات المنهجية في البحوث العلمية، لكن مراعة وتدقيق هذه المفاهيم وغيرها ضروري جدًا من جانب الباحث في سيرورة إنتاجه العلمي الذي يتمظهر في لغته وأسلوبه التّحريري.

المحاضرة رقم 03 | المنطلقات التّاريخية للمبحوث الكمّية والكيفية

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة الثالثة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الأربعة الموالية:

1. محاولة مراجعة الإرث الفكري للمنهج الكمّي تاريخيًا من خلال الأدبيات المختلفة.
2. محاولة مراجعة الإرث الفكري للمنهج الكيفي أو النّوعي تاريخيًا من خلال الأدبيات المتاحة.
3. الوقوف عند أهم المقاربات النّظرية المهيمنة في مجال البحث.
4. ربطًا بهدف السّابق، نسعى إلى معرفة أهم النّماذج النّالظرية السوسيولوجية التي تهيمن على مجال البحث بشكل عام.

تمهيد:

ولأنّه لكل حركة فكرية أو معرفية تاريخ وانطلاقة، فإنّه من الطّبيعي أنّ للتّصورين الكمّي والكيفي إرهاصات وبدايات مع التّفكير العلمي، في هذه المحاضرة سنحاول أن نستعيد الذّاكرة التّاريخية مع بداية المقاربتين الكمية والكيفية وحقيقة التّضارب الحاصل حول أي منهج ظهر الأول، وذلك من خلال الوقوف عند أولى الاسهامات والأطروحات الفكرية التي برزت مع كل منهج. قبل أن تخلص المحاضرة بالوقوف عند أهم النّماذج النّظرية المهيمنة في مجال البحث.

1. مراجعة الإرث الفكري للمنهج الكمّي تاريخيًا:

يقر وايت وكوبر White & Cooper (2022) وفقا لما ينقله Kham Bao أن الاستقطاب بين مناهج البحث الكيفي والكمي له تاريخ معقد يعكس نقاشات فلسفية أوسع حول طبيعة الواقع وكيفية فهمه. ووفقًا للباحثين يمر التاريخ بأكمله بخمس مراحل تطور مختلفة. يمكن إرجاع أصول البحث الكيفي إلى اليونان القديمة، أين انخرط الفلاسفة في أشكال من الاستقصاء التي سعت إلى فهم جوهر الأشياء بما يتجاوز منطق الأرقام أو القياسات. وقد أرسى هذا التقليد الأساس للطرق النوعية التي تركز على فهم المعنى والسياق وتعقيد التجربة الإنسانية. ومع ظهور الاتجاه الوضعي في القرن التاسع عشر، والذي ركز على الأدلة التجريبية والمنهج العلمي، أصبح البحث الكمي هو النموذج السائد. وكما يسترسل شيبارد (2020)، فقد سعى هذا النهج المتجذر في العلوم الطبيعية، إلى اكتشاف القوانين العالمية من خلال القياس الموضوعي والتحليل الإحصائي. (Bao, 2024, p. 12)

من هذا المنطلق، لا بدّ من التأكيد على أنّ هنالك تضارب في تاريخية المنهجين الكمّي والكيفي، ويلحظ حقيقة هذا التّضارب الباحث حينما يحاول أن يعرف بدايات التّصور وطرائق البحث في هذين المنهجيتين، وبينما يعتقد البعض أنّ البحث الكيفي كان أولى البحوث التي أجريت كمنظور كيفي إنساني بدأ مع دراسات في دراسة الأنشطة الإنسانية ممثلة أساسًا في دراسة طوماس وزنانييكي Thomas & Znaniecki «الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا»، فإنّ هنالك اتجاه آخر يقر أن البحث الكيفي مجال بحثي جديد تقريبًا، انطلق بطيئًا في النصف الثّاني من القرن العشرين، ثم بدأ يتوسّع في العقود الثلاثة الأخيرة.

من المهم جدًا التأكيد إلى ما أشار إليه **فضيل دليو** نجد من أوائل الباحثين الذين دافعوا منذ القرن 19 عن «الأصالة» والتّميز المنهجي للعلوم الاجتماعية مقابل العلوم الطبيعية، كل من ديلثي وريكرت Dilthey & Rickert، حيث اعتبراها «أصالة» نابعة من طبيعة موضوع دراستها البشري.

ولأنّ **المنهجيات الكمية** يُقترح تطبيقها في الموضوعات التي تتمتع بثلاث خاصيات "قابلية الملاحظة، سببية واضحة، موضوعية عالية"، وهذه الخاصيات هي التي تميز موضوعات أو مواد العلوم التّجريبية، فإنّه يطلق على المناهج التّجريبية (الامبريقية) على تلك التي يُقترح تطبيقها على

مادة أو موضوعات تلك العلوم. **(شيّا، 2018)** بهذا المنطق فإن البحث عن بدايات المنهج التّجريبي هو بحثٌ عن بدايات المنهج الكمّي.

كانت أولى المساهمات التّاريخية في تصميم منهج تجريبي وضعي غير ذاتي هو ما أنجزه **فرنسيس بايكون** في ثلاثينيات القرن 17، حين وضع قواعد علمية ملموسة لكيفية ملاحظة أو مراقبة ظاهرة على نحو موضوعي وعلمي، وقد ضبط جداول عند ملاحظة الظّاهرة موضع البحث عند غيابها أو حضورها في درجات، إلى شروط أخرى وضعت الأساس للمنهج الكمي التّجريبي الحديث. ثم برزت مساهمة **جون ستيوارت ميل** الذي اقترح خمسة مناهج في أي مقاربة علمية كمّية سببية لعلاقة ظاهرة بظاهرة أخرى: منهج الاتفاق، منهج الافتراق، منهج الاتفاق والافتراق معًا، منهج البواقي ومنهج التّغيرات المترافقة – أي سلسلة من العلل والمعلولات–. **(شيّا، 2018)** وهي مناهج إحصائية رياضياتية تامة.

وفي أربعينيات القرن 19، عرض **أوغست كونت** فكرة "تحويل مناهج البحث في العلوم الاجتماعية إلى مناهج علية ذات نتائج موضوعية"، وهذا في ضوء تأثره بنجاحات العلوم الطبيعية ونتائجه شبه الدّقيقة، موكّدًا على أنّه بالإمكان مقاربة الظّاهرة الاجتماعية على نحو علمي كمي، ثمّ لحقه في هذا الاتجاه **كلرد برنارد** مع نهاية القرن 19 ومطلع القرن العشرين. **(شيّا، 2018)**

2. مراجعة الإرث الفكري للمنهج الكيفي تاريخيًا:

من النّاحية التّاريخية، يمكن اعتبار البحث النّوعي مهمشًا من حيث المشاركين فيه (موضوعاته) ومن حيث منهجيته. ويعتبر علماء الأنثروبولوجيا الثقافية من أهم وأبرز الباحثين النّوعيين، فقد كانوا عند دراستهم للشعوب "البدائية" بشكل حصري تقريبًا يناقشون في كثير من الأحيان بأنه لا ينبغي اعتبار المشاركين في دراساتهم بدائيين، إلا أنهم واصلوا فحصهم شبه الحصري لهؤلاء المشاركين وبالتالي أبقوا على تهميشهم. ويمكن تصنيف فرويد Freud وبياجيه Piaget ضمن الفئة العريضة من الباحثين النوعيين، وهما اللذان درسا النساء العصابيات والأطفال على التوالي، كما درست مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع في شيكاغو عصابات الشوارع والأشخاص الذين تم إيداعهم في المؤسسات. **(Maykut & Morehouse, 1994, pp. 07 – 08)**

ويمكن القول أنّ الاستعمال الأكاديمي **للبحوث الكيفية** بدأ في العصر الحديث مع بداية القرن العشرين وإلى الاعتقاد الشّائع بأنّه أثناء هيمنة مدرسة شيكاغو خاصة الفترة 1915–1935 – كان المنظور المسيطر هو الكيفي الإنساني وقد مثّله عمل كل من طوماس وزنانييكي Thomas & Znaniecki «الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا»، الذّين استخدما الوثائق الشخصية (رسائل)، المقابلات والسير الذّاتية، كمنهج لتجميع المعطيات حول تجربة الفلاح البولندي في تكيفه المهجري, فكانت **المعطيات** ذاتية، **والمفاهيم** الأساسية اتجاهات، **والمعالجة** تأويلية.

في الأربعينيات حسم جدل «الكمّي/ الكيفي» بالتأكيد على حرمان البحوث الكيفية من إمكانية تجربة الفرضية أو تأكيد الفرضيات والنّظريات، والتي كان يفترض أنّها أهم هدف للعملية العلمية، بينما خصص الدّور التّجريبي للمنظور والبحوث الكمية. غير أنّ فكرة تجريب الفرضيات النّظرية والنّظريات دخلت في أزمة علمية نتيجة انتقادات كل من بوبر، لاكاتوس وكوهن (Popper, Lakatos, Kuhn) لمجموعة فيينا كل من كوفمان، آير ونوراث (Kaufman, Ayer, Neurath) التي تركّز على الطروحات القابلة للتّجريب وتعتبر أنّ الاستقراء هو أساس المعرفة العلمية. (دليو، 2022)

وقد أصرّ «كارل بوبر» على استحالة تجربة النّظرية أو التأكد منها، لأنّ النّظرية بكل بساطة لا يمكن إلّا دحضها، بينما ذهب «إمر لاكاتوس» أبعد من ذلك، مؤكدًا أنّه ليس فقط استحالة تجريب النّظريات، بل استحالة نفيها أيضًا. بينما «توماس كوهن» يؤكد بكل بساطة استحالة قياس البراديغمات (النّماذج النّظرية) لأنّه لا يمكن تجربة نماذج نظرية مختلفة إمبريقيًا.

يُشار هنا في معرض الحديث عن الإرث الفكري للمنهج الكيفي تاريخيًا، وفي الآونة الأخيرة، استُخدمت الأساليب النّوعية لدراسة العملية التعليمية في المراحل الابتدائية والثانوية والجامعية. وفي إطار النظر إلى التعليم والطلاب درس ويليام بيري (1970) التغيرات الفكرية والأخلاقية في ذكور هارفارد، وساعد في دراسته مجموعة من الأشخاص الذين يقدّرهم المجتمع المهيمن على نقل مستوى البحث النّوعي إلى مركز البحث الجاد. (Maykut & Morehouse, 1994, p. 08)

عمومًا، يظهر اليوم المنظوران أو الاتجاهان المعرفيان في شكل أكثر تعقيدًا منه عن عام 1930، خاصةً بعدما تقاربا أكثر وأصبحا متكاملين عند الكثيري من الباحثين، ولكن هناك من يقدر استحالة قياسهما؛ أي عدم إمكانية المقارنة بينهما أو تكاملهما مستلهما ذلك من فرضية «كوهن».

2. النّماذج النّظرية المهيمنة في مجال البحث:

إنّ الحديث عن المنهجين الكمّي والكيفي، يقودنا للحديث أهم المقاربات والمنهجيات الفكرية الرائجة في البحث الاجتماعي (التجريبية، العقلانية، البنائية، الظاهراتية) كما تعرضها Jiménez وزملاءها:

أ- **التّجريبية:** يرى التجريبيون أن المعرفة تنشأ في المقام الأول من التجربة الحسّية والملاحظة المباشرة. حيث يُترجم هذا النهج في العلوم الاجتماعية إلى جمع المعطيات والبيانات من خلال الأساليب والأدوات الكمية، مثل الاستطلاعات والتّجارب، سعيًا إلى تحديد الأنماط والانتظامات في الظواهر الاجتماعية. وفقًا لغوميز وريدل، تؤكد التجريبية على الموضوعية والقياس الدقيق للمتغيرات لتوليد معرفة يمكن التحقق منها.

ب- **العقلانية:** وتفترض العقلانية أن العقل والتفكير المنطقي هما المصدران الأساسيان للمعرفة. وحيث يجادل العقلانيون بأن هناك حقائق فطرية وأنه من خلال التفكير الاستنتاجي يمكن الوصول إلى معرفة مستقلة عن التّجربة الحسية. هذا النهج شائع في النظريات التي تعطي الأولوية للنماذج المجردة والمنطقية لشرح الظواهر الاجتماعية وفقا لغوميز وريدل دائمًا.

ت- **البنائية:** تفترض البنائية أن المعرفة هي بناء اجتماعي ينشأ من التفاعلات والخبرات المشتركة للأفراد. من هذا المنظور، الواقع ليس كيانًا موضوعيًا مستقلًا عن المراقب، بل يتم بناؤه من خلال مختلف العمليات الاجتماعية والثقافية. وفي البحوث الاجتماعية، تنعكس البنائية في الأساليب النوعية التي تسعى إلى فهم التفسيرات والمعاني التي ينسبها الناس إلى تجاربهم وفقًا لفيرا فيليز وبونس.

ث- **الظاهراتية:** وهو العلم الذي يهتم بعلم الظواهر – طوره هوسرل (1913) –، يركز على دراسة التجارب الذاتية والوعي. ففي العلوم الاجتماعية يتضمن هذا النهج استكشافًا متعمقًا لكيفية إدراك الأفراد لعالمهم وفهمهم له، مع إعطاء الأولوية لفهم التجارب من منظور الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم. وتعتبر الأساليب النّوعية، مثل المقابلات المتعمقة أدواتًا رئيسية في البحوث الفينومينولوجية.

ج- **البراغماتية:** وهي المرتبطة بفلاسفة مثل ديوي وجيمس، ترى أن قيمة المعرفة تكمن في فائدتها العملية وقابليتها للتطبيق. ففي البحوث الاجتماعية يشجع هذا النهج على دمج

الأساليب الكمية مع النوعية، واختيار الأدوات المنهجية بناءً على قدرتها على معالجة مشاكل محددة وتوليد حلول فعالة.

ح- **الهرمنيوطيقا:** يركّز تأويل الهرمنيوطيقا على تفسير النصوص والسياقات، سعيًا إلى فهم المعنى الكامن وراء الأفعال والخطابات والإنتاجات الثقافية الإنسانية. هذا النهج ضروري في تخصصات مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، حيث يعد تفسير الرموز والسرديات أمرًا محوريًا لفهم الديناميات الاجتماعية.

خ- **الوضعية:** الوضعية المتأثرة بـ "كونت" تؤكد على أن المعرفة الحقيقية مستمدة من التجربة التجريبية والمنهج العلمي. وفي العلوم الاجتماعية يشجع هذا المنهج على استخدام التقنيات الكمية والبحث عن قوانين عامة لتفسير السلوك البشري. على الرغم من انتقادها بسبب جمودها، إلا أن الوضعية أرست أسس البحث المنظم والمنهجي في دراسة المجتمع.

د- **التفسيرية:** ترى التفسيرية أن الواقع الاجتماعي ذاتي ويتم بناؤه من خلال التفاعلات البشرية. يسعى الباحثون التفسيريون إلى فهم معنى الأفعال والتجارب من منظور المشاركين، باستخدام أساليب نوعية مثل ملاحظة المشاركين والمقابلات المفتوحة لالتقاط ثراء التفسيرات الفردية حسب فيرا فيليز وبونس.

ذ- **المقاربة الديالكتيكية:** هذا النهج المتأثر بالفلسفة الهيغلية والماركسية، ينظر إلى الواقع الاجتماعي على أنه يتغير باستمرار بسبب التناقضات والصراعات المتأصلة في البنى الاجتماعية. يحلل الباحثون الديالكتيكيون التوترات وديناميكيات القوة التي تقود التحولات الاجتماعية، مستخدمين أساليب تاريخية ونقدية لكشف القوى المؤثرة (غوميز وريدل، 2020). في الختام، يعكس تنوع المقاربات المعرفية في العلوم الاجتماعية التعقيد المتأصل في دراسة المجتمع البشري. يقدم كل منظور أدوات وأطر تفسيرية فريدة من نوعها، مما يثري فهم الظواهر الاجتماعية ويسمح بمقاربات متعددة الأوجه للبحث. (Jiménez, Torres, Bracho-Fuenmayor, & Alzate, 2024, pp. 05 - 06)

بالمجمل، في عام 1979 عالج هافبني P. Halfpenny في مجلة Sociological Review واقعا الجدل (الكمّي/ الكيفي) من خلال أربع نماذج نظرية سوسيولوجية مختلفة، وهي التي تهيمن على مجال البحث:

1. **بالنسبة للنموذج النّظري «الوضعي/ الامبريقي»** تعتبر المعطيات الكيفية حافزًا يدفع الباحثين لتطوير تقنيات ومناهج جديدة لتكميم المعطيات الكيفية.

2. **بالنسبة للنّموذج النّظري «التأويلي»** فإنّ الواقع موضوع دراسة علم الاجتماع هو كيفي أساسًا، بينما يعتبر الكمي سطحيًا ولا يؤدي إلى معارف حقيقية.

3. **بالنسبة للنّموذج النّظري «الإثنوميتودولوجي»** يعتبر جمع المعطيات السوسيولوجية كيفية أصلًا، لكنّه ينفي وجود مشكل تأويل ويعوضه بمشكلة استرجاع المعنى الذي يعطيه الفاعلون لسلوكهم... (قريب للنّموذج السّابق)

4. **بالنّسبة للنّموذج النّظري البنيوي،** فلقد فقدت هذه الثنائية معناها على الأقل في شكلها الحالي، وذلك لأنّ المعطيات المحسوسة عبارة عن مظاهر سطحية لآليات ضمنية عميقة. (دليو، 2015 الصفحات 14 – 15)

حوصلة:

بعيدًا عن التّضارب الحاصل في أقدمية منهج على أخر تاريخيًا، فإنّ الواضح أن لكل منهج جذوره وبداياته الفكرية، كما أنّ لكل منهج إسهاماته وتصوراته الخاصة التي ينبغي النّظر لها من زاوية الخدمة والفائدة التي يُحققها في مسارات البحوث العلمية. مع أنّ الواضح اليوم أنّ هذان المنظوران أو الاتجاهان المعرفيان يبرزان في شكل أكثر تعقيدًا.. وفي الوقت الذي يعتقد فيه بعض الباحثين أنّ المنهجين تقاربا أكثر وأصبحا متكاملين، فإنّ هنالك باحثين أخرين يقرون باستحالة قياسهما؛ وعدم إمكانية المقارنة بينهما أو تكاملهما.

المحاضرة رقم 04 | المنطلقات النّظرية للبحوث الكمية والكيفية

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة الرّابعة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الأربعة الموالية:

1. التّعرف على المنطلقات والأساسات النّظرية للتّصورين الكمّي والكيفي.
2. الوقوف على أهم خصائص المنهجين والكمّي والكيفي.
3. الوقوف على نظرية وأنطولوجية وابستيمولوجية كل اتجاه من الاتجاهين.
4. التّوقف عند عيوب استخدام كل منهج، الكمّي والكيفي.

تمهيد:

بعدما تعرّفنا على الجذور التّاريخية للمنهجين الكمّي والكيفي، في هذه المحاضرة سيتم التّركيز أكثر المنطلقات النّظرية وعلى الفروقات المنهجية الجوهرية بين المقاربتين، من خلال تقديم استيضاح عام لطبيعة المنهجين مع تبيان خصائص كل منهما، ثم محاولة الوقوف على طبيعة تصور كل منهج/ مقاربة للظّاهرة المدروسة. **فما هي أساسات المنهجين؟ ما هي خصائصهما؟ وكيف يتم تصور الظّاهرة قيد الدراسة في كل منهما؟**

1. الأساسات النّظرية:

تعتبر ثنائية البحوث الكمية والكيفية من أهم الثنائيات الفلسفية والنّظرية في العلوم الاجتماعية، حيث يمكن استنتاج أن مناهج البحوث الكمية (الاستنباطية ~~– الافتراضية~~) تنبع من النّظرية الوضعية الأمبريقية التي ترى في الواقع أنّه قابل للتّشيؤ والملاحظة والقياس، وأنّ مناهج البحوث الكيفية (الاستقرائية البنائية) تنطلق من النّظريات البنائية الاجتماعية والتّفاعلية الرّمزية التأويلية (والتي كانت بداية انتشارها في مجالي الانثروبولوجيا والتّاريخ ثم في بقية تخصصات العلوم الاجتماعية)

لا بد من الإشارة هنا إلى أنّه هنالك من يرى أنّ الأصول النّظرية ليست ثنائية بل رباعية وأكثر (راجع محاضرة البراديغمات العلمية)، ولكن من الأهمية بما كان الأخذ بالتّصنيف الثنائي (وضعي/ تأويلي)، والذي يقابله كمي/ كيفي، بحيث يجعل حسب بتشرجي Bhatttacherjee مناهج البحوث الكمية تختبر النّظريات Theory–testing، ومناهج البحوث الكيفية تبنيها theory– building.

يُعرف **المنهج الكمّي** باعتباره "بحثًا تجريبيًا منهجيًا" Systematic Empirical Research لظاهرة يُمكن ملاحظتها على نحوٍ ما، وتكميمها بواسطة أدوات إحصائية أو رياضياتية، أو بواسطة تقنيات الكومبيوتر المختلفة. بينما يُعرّف **البحث الكيفي** على أنّه أي استخدام حسن التّصميم لأدوات وتقنيات بحث "غير كمّية وغير رقمية" في مقاربة الظواهر أو الموضوعات الإنسانية والاجتماعية المدروسة. (شيّا، 2018) وسيتم التّفصيل في المفهومين أكثر مع المحاضرة المقبلة.

وفي توضيح أخر، يعرّف **البحث الكمّي** على أنّه نهج لاختبار النّظريات الموضوعية من خلال فحص وفهم طبيعة العلاقة بين المتغيّرات الممكن قياسها، بحيث يمكن تحليل البيانات الكمّية أو المرقّمة باستخدام مختلف الإجراءات الإحصائية. والباحثين الذين يسلكون هذا النّهج من الاستقصاء لديهم افتراضات مسبقة حول اختبار النّظريات بشكل استنتاجي، هذا بالإضافة إلى رفضهم للتّحيز، التّحكم في التّفسيرات البديلة، القدرة على التّعميم وتَكرار النّتائج، مع نسج "تقرير نهائي" له مجموعة من الهياكل المحدّدة، يتضمّن: مقدمة، أدبيات البحث، النّظرية، أساليب، نتائج ومناقشة. بينما يعرّف **البحث الكيفي أو النّوعي** على أنّه نهج لاستكشاف وفهم المعنى الذي ينسبه الأفراد أو الجماعات إلى مشكلة أو قضية إنسانية أو اجتماعية، حيث تتضمّن عملية البحث أسئلة وإجراءات ناشئة ومعطيات

تُجمع في الغالب من المشاركين أنفسهم، وبناءً على تحليلها بشكل استقرائي من التّفاصيل إلى الموضوعات العامة، يقوم الباحث بعمل تفسيرات أو تأويلات لمعناها أو معانيها. ويُصمّم التّقرير النّهائي بهيكل مرن (كما سنناقشه لاحقًا). وفي هذا النّوع من البحوث يبرز الأسلوب الاستقرائي، والتّركيز على المعنى الفري لكل مشارك أو فاعل، وأهمية عرض تعقيد الموقف. (الرفاعي، 2024، صفحة 764)

2. خصائص المنهجين الكمّي والكيفي:

1.2. خصائص المنهج الكمي: تتمثّل أهم خصائص المنهج الكمّي في الآتي:

- تنطلق البحوث الكمية من استخدام الفرضيات العلمية باعتبارها إجابات مؤقّتة أو حلول تتعلّق بوصف واقع معيّن من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات... وغيرها.
- تحاول البحوث الكمية التوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفّذ فيه الدراسة.
- ربطًا بما سبق، تهدف هذه البحوث إلى تعميم نتائج البحث على حالات أخرى جنبًا إلى جنب مع حالة الدّراسة.
- ربطًا بالنّقطة الأولى، يسعى البحث الكمي إلى البحث عن الأسباب والحقائق، وذلك من منظور العلاقة التي تحدث بين المتغيرات، الأمر الذي يمكّن من إيجاد تفسير لعلاقات السّبب والنّتيجة بين المتغيّرات. (بالقسم، 2023 صفحة 94)

وتوضَّح هذه الخصائص إجمالًا في نقطتين:

- تنطلق البحوث الكمية من استخدام الفرضيات العلمية باعتبارها إجابات مؤقتة أو حلولا مبدئية، إذ تتعلق بوصف واقع معين من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات واستخدام البيانات المتوفرة لإيجاد علاقة ارتباطيه أو سببية، كما تحاول هذه البحوث الكمية التّوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسّياق الذي تجرى فيه الدراسة، بالإضافة إلى استهدافها "تعميم نتائج" البحث على حالات أخرى.
- يرتكز البحث الكمي على البحث في الأسباب والحقائق، وذلك من زاوية العلاقة التي تحدث بين المتغيرات، الأمر الذي يمكنه من إيجاد تفسير لعلاقات السبب والنتيجة ، ويؤدي إلى

إمكانية التوقع والتنبؤ حول عدد من الجزئيات المتعلّقة بالظاهرة قيد البحث. (بن عمروش، 2020، الصفحات 294 – 295)

2.2. خصائص المنهج الكيفي: هنالك ثلاثة خصائص أساسية تميّز المنهج الكيفي كاتجاه بحثي وفقًا لـ Alan Bryman، وهي:

- أنّ له نظرة **استقرائية** للعلاقة بين النّظرية والبحث، مع أنّ الأولى مستوحاة من الثّانية.
- إن فهم العالم الاجتماعي يكون من خلال تفحّص وترجمة ذاك العالم عبر **المشاركين**.
- الوضعية الأنطولوجية تصفه أنّه **بنائي**، والذي يعني أنّ الملكيات الاجتماعية هي نتاج التّفاعل بين الأفراد، وليس ظاهرة خارجية أو منفصلة عن أولئك الذين ساهموا في بنائها. (بالقسم، 2023 الصفحات 101 – 102)

وينقل لعيّاضي عن Mucchielli و Barbier فكرة أنّ البحوث الكمية تنطلق من البراديغم Paradigm الوضعي الذي يرى أنَّ الحقيقة الاجتماعية لا توجد سوى في حالتها الملموسة والمستقلة عن كل رأي أو موقف والتي يجب أن تُستطلع أو تستكشف، ويُنظر إليها على أساس أنَّها ذات بنية مغلقة تتشكل من عناصر قابلة للقياس، فتبدو العلاقات فيها كأنها آلية وحتمية في آن واحد لظاهرة تمَّ عزلها، واستبعدت من كل ما يُحيط بها. بالمقابل، تلبي البحوث الكيفية متطلبات براديغم Paradigm البنائية الاجتماعية الذي يسمح ببناء سياقات لوصف الظواهر وفهمها؛ فالبنائية الاجتماعية لا ترى الظواهر الاجتماعية والثقافية في وضعها المنجز/ العادي وصيغتها النهائية، بل تراها في طور البناء والتَّشكل. فالنَّاس يصنعون واقعهم الاجتماعي انطلاقاً من تفاعل بعضهم البعض من جهة، وبينهم وبين واقعهم من جهة ثانية. وإدراك هذا الواقع لا يتم من دون وجهات نظر الأشخاص الفاعلين، لذا لا بدَّ من استجلاء تأويلهم لأوضاعهم وللظواهر الاجتماعية. (لعياضي، 2016، صفحة 102)

ولهذا فإن فهم ظاهرة الإدمان الإلكتروني إن صحَّ التَّعبير – كمثال –؛ والذي يعبر عن حالة التبعية الاجتماعية والنفسية والثقافية المطلقة للفرد في استخدامه للوسائط والتكنولوجيات الاتصالية، يأخذ منحيين في البحث (تبعاً لرأينا):

أ. تصور الظاهرة من منطلق متغيرات محددَّة.

بمعنى أنَّ تصور الباحث يتركز أكثر حول المتغيرات التي أدت بالفرد إلى حالة الإدمان الإلكتروني، ومحاولة فهم هذه الحالة في وضعها كما هي (ملموسة) بشكل مستقل عن أي رأي أو موقف معين، وهذه المتغيرات يمكن ضبطها بل وقياسها في هذه الحالة (الفراغ العاطفي، المهارة التكنولوجية، الترفيه...)، فتظهر كل هذه العلاقات في شكل آلية وحتمية.

ب. تصور الظاهرة من منطلق الفاعلون وسياقات الاستخدام.

ففهم هذه الظاهرة واستيعابها يتطلب فهمها بأنها ظاهرة آخذة في البناء والتشكل وغير مكتملة، ويجب النَّظر إلى السياق والواقع الذي وجدت فيه والفاعلون الذين كانوا جزءاً منها، فالمدمن إلكترونياً نشأ في بيئة وسياق اجتماعي وثقافي غير مستقر يتطلب فهماً، وهذا الإدمان أيضاً يرتبط بوضعيات الفاعلين أنفسهم، ومن الأهمية بما كان استجلاء تأويلهم لأوضاعهم وكل ما يرتبط باستخدامهم لهذه الوسائط والتكنولوجيات.

ولهذا فإنَّ المقاربة الكيفية تركِّز على الفاعلين في الظواهر وليس المتغيرات، أي خلافاً للمقاربة الكمية التي تهتم بالمتغيرات ولا يظهر الفاعلون إلا عندما تعجز المتغيرات عن تفسير الظاهرة – كما يقول Dumez – (لعياضي، 2016، صفحة 102)

تشير الأنطولوجيا إلى افتراضاتنا حول كيف نرى الواقع الاجتماعي، في حين تشير الابستمولوجيا إلى افتراضاتنا حول أفضل طريقة ممكنة لدراسة هذا الواقع الاجتماعي كما ينقله **دليو** عن Bhattacherjee.

	النّظرية	**الأنطولوجيا (ماهية المعرفة)**	**الابستمولوجيا (نظرية المعرفة)**
كمية	استنباطية	موضوعية (الواقع الاجتماعي مستقل عن إرادة الأفراد)	وضعية
كيفية	استقرائية	ذاتية (الواقع نتاج عمليات اجتماعية/ بناء اجتماعي)	تأويلية

جدول رقم (02) يوضّح الفرق بين المقاربتين الكمّية والكيفية أنطولوجيًا وابستيمولوجيًا

ويمتاز المنهج الكمي بعديد المميزات، أبرزها:

- أنه منهج مناسب لعديد العلوم والتخصصات كعلم النفس، الاقتصاد والتسويق... وغيرهم.
- نشأ المنهج الكمي في المدرسة الوضعية، إذ من خلال العلاقة بين المتغيرات يتمكن الباحث من تحديد الأسباب واستخراج النتائج والتنبؤ بالمستقبل.
- اختبار البحوث الكمية لعديج المتغيرات التجريبية، كما تحد من ظهور المتغيرات الاعتراضية.
- المنهج الأكثر مناسبة لعديد الباحثين، في حال توافر معلومات عديدة عن الموضوع المراد دراسته. (المطيري، 2020، الصفحات 252 – 255)

3. عيوب استخدامات المنهجين الكمي والكيفي:

1.3. عيوب استخدامات المنهج الكمي: من بين عيوب استخدام المنهج الكيفي أو النّوعي أنّه:

- لا يقيس الظواهر أو العوامل غير الكمّية أو غير القابلة للقياس.
- ربطا بالنقطة السابقة، في حالة الخيارات أو البدائل وحل مشكلة الاختيار الأمثل، فإن البحث الكمي لا يسمح باختيار الأمثل الا بمعيار واحد.
- الحاجة إلى تكاليف عالية.
- صعوبة تعميم النتائج، خصوصًا في حالة ما كانت العينات غير تمثيلية للمجتمع الأم (الأصلي). (بن عمروش، 2020، صفحة 299)

2.3. عيوب استخدامات المنهج الكيفي: ومن أهم عيوب ومساوئ استخدام هذا المنهج الآتي:

- غياب الموضوعية، ذلك أنّ الباحث ينطلق من ذاتية مطلقة.
- التحيز، وهو تحصيل حاصل النقطة السابقة، حيث قد يظهر الباحث في كثير من المرّات ميالًا لوجهة نظر معينة أو راغبًا في الأخذ بطرح معيّن في معالجته للظاهرة المدروسة.
- الشعبوية – إن صحّ التعبير – وهي أيضًا تحصيل حاصل النقطتين السابقتين، حيث أنّه في كثير من المرّات يقع الباحث في مطبة الاسترسال التأويلي المفمع بخطاب غير علمي، نتيجة التعامل مع معطيات غير محددة، يؤسس لخطابه العلمي من منطلق السياق والفاعلون.

- العامل الزّمني، حيث أنّ البحوث الكيفية في كثير من الدراسات تتطلب هامشًا زمنيًا واسعًا خصوصًا إذا كانت الدراسة أنثروبولوجية تتطلب أن يقضي الباحث وقتًا واسعًا مع المجتمع البحثي.

حوصلة:

بناءً على ما سبق يمكن القول أنّ ماهية المعرفة الكمّية معرفة موضوعية، الواقع الاجتماعي في ضوئها مستقل عن إرادة الأفراد، بينما ماهية المعرفة الكيفية هي معرفة ذاتية، الواقع الاجتماعي في ضوئها مرتبط بالأفراد، طالما أنّ هذا الواقع هو نتاج عمليات اجتماعية "بناء اجتماعي". وبالتّالي فإنّ تصور الظّاهرة في المنهج الكمي يكون من منطلق متغيّرات محدّدة، بينما تصور الظّاهرة في المنهج الكيفي يكون من منطلق الفاعلون والسّياقات.

المحاضرة رقم 05 | بين المقاربة الكمّية والكيفية؛ فروق مفاهيمية ومعرفية

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الخمسة الموالية:

1. التّعرف على أهم الفروقات المفاهيمية بين الكمّي والكيفي من حيث المنظور.
2. التّعرف على أهم الفروقات المفاهيمية بين الكمّي والكيفي من حيث المعطيات وآليات فهم الحقائق.
3. التّعرف على أهم الفروقات المفاهيمية بين الكمّي والكيفي من حيث تصور الظّواهر المدروسة ومنطلقاتها.
4. التّعرف على أهم الفروقات المفاهيمية بين الكمّي والكيفي من حيث الأهداف.
5. التّعرف على أهم الفروقات المفاهيمية بين الكمّي والكيفي من حيث طبيعة المعالجة (الموضوعية والذّاتية).

تمهيد:

بعد التّطرق إلى أهم الاختلافات النّظرية الحاصلة بين المقاربتين الكمية والكيفية في البحوث العلمية، في هذه المحاضرة سنتوقّف عند أهم الاختلافات والفوارق الحاصلة على المستويين المفاهيمي والمعرفي؛ إذ أنّ مفاهيم وتصوّرات المقاربة الكمّية تختلف عن مفاهيم وتصوّرات المقاربة الكيفية بحكم تباين المنطلقات والمرجعيات الفكرية، وكذلك الحال مع المستوى المعرفي، الذي هو امتداد وعلى خط واحد تقريبًا مع المستوى النّظري وحتّى المفاهيمي؛ وكل هذه المستويات نرى أنّها متقاربة جدًا مع بعضها البعض إن لم تكن متطابقة عند التّناول والمراجعة الفكرية، بل هي أيضًا على امتداد واضح مع الأصول التّاريخية لكلا الاتجاهين – كما تمّ الإشارة إليه في التّقديم العام للمطبوعة –.

1. الفروقات المفاهيمية بين الكمّي والكيفي:

يشير **الكمّ** إلى ما يمكن أن نقوم بعدّه أو حسابه حسابًا بالأرقام وبالتّالي إلى تجزئته؛ في حين يشير **الكيف** إلى ما يمكن وصفه أو التّعبير عنه، وصف معين أو حالة محدّدة لشيء لا يقبل لا العد ولا الحساب ولا التّجزئة، هذا الوصف يكون وصفًا مجرّدًا كأن نعبّر عن حالة القلق، الاكتئاب، السّعادة... وغيرها من الموضوعات التي يمكن التّعبير عليها وصفًا.

المنهجية الكمّية وفقًا لما يذهب إليه عامر قنديلجي هي التي يفترض فيها الباحث وجود حقائق اجتماعية وموضوعية منفردة ومعزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، وتعتمد في الغالب على الأساليب الإحصائية في عملية جمع البيانات وقراءتها وتحليلها. (بالقسم، 2023 صفحة 93)

يقصد بالمنهجية الكيفية وفقاً لما ينقله "سعيد لوصيف" عن (Van Manen 1990) مختلف طرائق التأويل التي يُمكن استخدامها من أجل وصف وترجمة الظواهر الاجتماعية، والتي تسمح بالاهتمام بدلالة الظواهر أكثر من تواترها.

وتُعرَّف المقاربة الكيفية وفقاً لما ينقله "نصر الدين لعيَّاضي" بأنَّها التَّحليل الذي يعيِّن طبيعة العناصر التي تحدِّد جسم ما دون الأخذ بعين الاعتبار حجمها أو كميتها (Dumez, 2011)؛ أي أنَّها لا تعالج البيانات التي يصعب تكميمها، ولا تولي الأهمية ذاتها للإحصائيات التي توليها لها البحوث الكمية، وتهتم أكثر بالفعل والفاعل، والمعنى مما يقال والسلوكيات والممارسات.

فالباحث في علوم الاتصال والإعلام وفي تكنولوجيات الاتصال الحديثة مثلاً، لا يهتم بحجم الوقت الذي يقضيه المستخدم وهو في اتصال بمواقع التواصل الاجتماعي، أو عدد الأفراد الذي يتصل بهم في آن واحد، أو عدد المنشورات التي يضعها يومياً أو شهرياً أو سنوياً... (المقاربة الكمية)، بقدر ما تهمه طبيعة استخدامه لهذه المواقع، الممارسات السلوكيات الاتصالية الناشئة في هذا الاستخدام، رصد الانفعالات وردود الأفعال... وغيرها (المقاربة الكيفية).

بهذا الوصف يُمكن اعتبار البحث الكيفي هو البحث الذي يسمح بالإحاطة الشاملة بالظواهر ويغوص في عمق تحليل المعطيات الاجتماعية، فهو لا يكتفي بالظاهر وإنما يحاول أن يستجلي الباطن أيضاً... ولهذا فالبحث الكمي يعد شكلاً من أشكال التَّدقيق في سطح الحقائق الاجتماعية

بشكل غير دقيق وكاف. وهذا ما يدعو إلى تسمية البحث الكمي بالبحث الصلب أو الثقيل (Hard Methodology)، والبحث النَّوعي بالبحث الخفيف (Soft Methodology).

إذن على المستوى المفاهيمي يتوضّح أنّ المنهج الكمّي ينحو إلى مفاهيم العد والإحصاء واللغة الرياضياتية والمطلقة لواقع يمكن "تجزئته" بحكم أنّه ينظر للظواهر المدروسة على أساس أنّها ظواهر مغلقة ومنتهية، بينما مفاهيم الكيف تنحو إلى العمق واستجلاء الباطن وفهم غير المرئي لواقع لا يمكن تجزئته، بحكم أنّها ظواهر في طور التّشكل والبناء، وغير منتهية أيضًا.

2. الفروقات المعرفية بين الكمّي والكيفي:

1.2. من حيث المنظور:

من وجهة نظر كابلان Kaplan فيما ينقله "فضيل دليو"، فإنّ هنالك ثلاث مظاهر أساسية للتفرقة بين المنظورين المنهجيين الكمّي والكيفي:

- ✓ **ثنائية "التّفسير/ الفهم":** حيث ينشغل المنظور الكمّي بالتّفسير السّببي خاصّة للواقع الاجتماعي، بينما ينشغل المنظور الكيفي بفهم وتجربة هذا الواقع.
- ✓ **خصائص وذوات:** مقابل جداول البيانات المنمّطة التي يصمّمها الكمّيون، فإنّ الكيفيون يؤكدون على أنّ قياس الظّواهر الاجتماعية يشوّه أسسه ومميزاتها ويضيّع أهم ما عند الواقع الاجتماعي.
- ✓ **التّجريد مقابل التّحديد (المجرّد مقابل المحسوس):** ويمكن تقدير الفارق هنا من مثال: إنّ معرفة كون الجو حار اليوم، يختلف غن اختبار (معايشة) هذه الحرارة؛ فالجو الحار يمكن تمثيله رمزيًا بأعداد قياسية، بالمقابل تجربة شيء يصعب اختزالها لفظيًا. "ولهذا عادةً ما يساوي الكيفي التّجربة المباشرة والكمّي بالمعرفة الرّمزية". (دليو، 2022، الصفحات 32 – 33)

2.2. من حيث المعطيات وآليات فهم الحقائق:

وهو فارق على ارتباط وثيق بالمظهر الأول من العنصر الأول – السّابق –؛ إذ يرى المنهج الكمّي في المعطيات تفسيرات للحقيقة التي تعتبر موضوعية، فالمعطيات هي مقاييس للحقيقة الاجتماعية التي

نعتبرها موضوعية. أمّا المنهج الكيفي يرى في المعطيات تأويلات للحقيقة التي تعتبر كحقيقة ذاتية، أي أنّ المعطيات هي نتاج لبناء تفاعلي بين الباحث والمبحوثين.

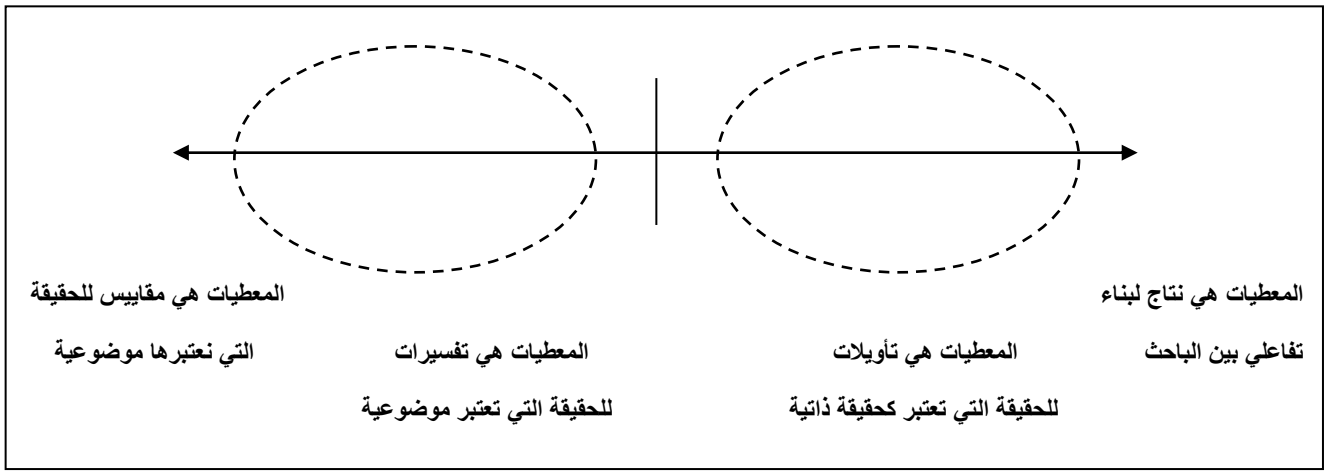

شكل (مُستل) يوضح طبيعة المعطيات والحقائق بين الاستقرائي والكمّي. (لوصيف، 2016 صفحة 70)

3.2. من حيث تصور الظّواهر المدروسة ومنطلقاتها:

كما أشرنا إليه في المحاضرة الفائتة فإنّ المنهج الكمّي يتصوّر الظاهرة المدروسة من منطلق متغيرات محددَّة وواضحة، بينما يتصوّر المنهج الكيفي (النّوعي) الظّاهرة المدروسة من منطلق الفاعلون والسّياقات.

وإذا كان البحث النّوعي يشتغل على أسئلة مثل "لماذا؟" و "كيف؟"، من منطلق أنّه بحث يسعى إلى الفهم المتعمّق وتوفيره لمحاولة فهم لماذا الأشياء هي هكذا (كما عليه في محيطنا الاجتماعي)؟ ولماذا يتصرّف النّاس بهذه الطّريقة التي يتصرّفون بها. (Masue, Idda L, & Anasel, 2013, pp. 211 – 212) فإنّ البحث الكمّي لا يتجاوز أسئلة مثل أسئلة "ماذا؟ وكم؟" من منطلق تركيزه واشتغاله على المتغيّرات الواضحة والمباشرة في دراسة الظّواهر العلمية، دون الحاجة إلى التّعمق في الخلفيات والأسباب والمآلات الممكنة.

يمكن القول أنّ أبرز خاصية في المنهج الكمي هي قابلية القياس " Quantitative is measurable"، فيما خاصية المنهج الكيفي هي أنّها بحوث أكثر ذاتية " Qualitative is usually more subjective". (Wilson, Gigi, & Casucci, 2021) طالما أنّ الأول هو تصميم موضوعي يستهدف تعميم النّتائج، والثّاني يفهم الموقف، ويستجلي المعنى من منظور المخبرين.

4.2. من حيث الأهداف:

إذا كان الهدف من البحث الكمّي اختبار الفرضيات التي تتعلّق بوصف واقع معيّن، من خلال بناء علاقات وقياس المتغيرات، واستخدام البيانات بإيجاد علاقات ارتباطية أو سببية، فإنّ البحث الكيفي يكون هدفه خلق فرضيات، فالحصول والوصول إلى البيانات والنزول الميدان يسبق الفرضيات – على عكس الكمّي – فالفرضيات أولوية: فهي تبنى وتوضع تبعًا لنتائج الدراسة الميدانية. وهذا عمليًا يعكس ما أشرنا إليه في المحاضرة الفائتة حينما ذكرنا أنّه حسب بتشرجي Bhatttacherjee فإنّ مناهج البحوث الكمية تختبر النّظريات Theory–testing، ومناهج البحوث الكيفية تبنيها theory–building.

5.2. من حيث طبيعة المعالجة (الموضوعية والذّاتية):

يطلق على البحث الكيفي وصف «تعاطفي»؛ بحكم أنّه يتعاطف مع المبحوثين؛ فالباحث لا ينطلق من منطقه ولا من تصور جاهز ومسبق عنهم وعما يفعلونه، بل يتنازل عن موقعه ويترك المجال لهم، فيشاطرهم ظروفهم وأوضاعهم، ليدرك جيّدًا قيمهم وتمثّلاتهم والدّلالات التي يمنحونها لحياتهم الاجتماعية انطلاقًا من قناعاتهم ومرجعياتهم الثّقافية. (لعياضي، 2016، صفحة 105)

عمليًا ومنهجيًا يرى "لعيّاضي" أنّ مصطلح «تعاطفي» مشحون بالذّاتية، لكنّ الإقرار به يحمل نوعًا من المجاهرة التي تؤكد على شفافية الأسلوب ونسبية النّتائج. ويضيف أنّه إذا كانت هذه الشّفافية لا تلغي وجود هامشًا من الذّاتية فإنّها على الأقل ليست مضلّلة. إنّ الظروف الاجتماعية متغيّرة ومتبدّلة بطريقة أو بأخرى، وجهل هذه الحقيقة أو تجاهلها يترتب عنه نتائج أفدح من ثقل التّعاطف مع موضوع البحث والمبحوثين. (لعياضي، 2016، الصفحات 105 – 106)

حوصلة:

من خلال هذه المحاضرة يتبيّن أنّ هنالك فروقات متعدّدة ومختلفة بين المنهجين أو المقاربتين الكمّية والكيفية إن على المستوى المفاهيمي أو على المستوى المعرفي، فعلى **المستوى المفاهيمي** يتوضّح أنّ المنهج الكمّي غارق في مفاهيم العد والإحصاء واللغة الرياضياتية لواقع يمكن "تجزئته" بحكم أنّه ينظر للظواهر المدروسة على أساس أنّها ظواهر مغلقة ومنتهية، بينما مفاهيم الكيف تنحو إلى العمق واستجلاء الباطن وفهم غير المرئي لواقع لا يمكن تجزئته. أمّا على **المستوى المعرفي** فتتوزّع هذه الفروقات على مستويات مختلفة؛ من حيث المنظور، من حيث المعطيات وآليات فهم الحقائق، من حيث الأهداف ومن حيث طبيعة المعالجة (الذّاتية والموضوعية).

المحاضرة رقم 06 | بين المقاربة الكمّية والكيفية؛ فروق منهجية

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة السّادسة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الأربعة الموالية:

1. الوقوف على مستوى **الخطوات الإجرائية** في منهجيتي المقاربة الكمية والكيفية.
2. على مستوى **الأهداف** في منهجيتي المقاربة الكمية والكيفية.
3. معرفة **أهمية الاحصاء** كملمح أساسي في البحث الكمّي.
4. الوقوف جانبًا على **أسباب هيمنة البحوث الكمية** في أبحاث علوم الإعلام والاتصال.

تمهيد:

ولأنّ هنالك اختلافات وفوارق تاريخية، مفاهيمية ومعرفية بين المنظورين الكمّي والكيفي، فإنّ هنالك فوارق واختلافات أيضًا على المستوى المنهجي، فطبيعة الإجراءات التي يتطلّبها المنهج الكمّي تختلف عن طبيعة إجراءات المنهج الكيفي وعلى مستويات مختلفة. في هذه المحاضرة يمكن الوقوف على ثلاث مستويات أساسية في منهجيتي المقاربة الكمّية والكيفية؛ المستوى الأول يرتبط **بالخطوات الإجرائية،** المستوى الثّاني يرتبط **بالأهداف،** فيما المستوى الثّالث يرتبط بملمح "**الإحصاء**" في المنهج الكمّي ومبررات شيوعه في السّياق البحثي المحلّي.

1. على مستوى الخطوات الإجرائية:

في البداية لا بد من الإشارة إلى أنّ تصميم البحوث في العلوم الاجتماعية ومنها علوم الاتصال متشابهة في محاورها العامّة، مع بعض الاختلافات والخصوصيات المميّزة للبحوث النّوعية عن الكمّية، يلخّصها كريسويل Creswell في ثلاث:

- **عمومية؛** أي مرونة وانفتاح تصميم البحث الكيفي على عكس البحث الكمّي البحث، باعتبار أنّ التّفصيل لا يمنح هامشًا كافيًا لاستيعاب المستجدّات في البحوث الميدانية الكيفية.
- **صعوبة المسار الكيفي:** يعتبر عدد "**الأدبيات البحثية**" التي يجب أن تدمج مع بداية البحث أحد المشكلات التي يواجهها الباحث الكيفي، بالإضافة إلى عدد "**النّظريات**" أيضًا التي يجب أن توجّه البحث، وكيف يعالج الباحث بعض الموضوعات بطريقة سردية كيفية مختلفة عن طريق البحوث الكمّية التّقليدية. حيث أنّه في حالة اعتماد إطار نظري، فإنّ ذلك لا ينبغي أن يخصص له "عنصر مستقل" له، بل من خلال الإشارة إليه في المقدّمة أو مع نهاية البحث – كنتيجة استقرائية –، طبعًا مع الالتزام بخصائص البحث الكيفي، افتراضاته، التّصميم المرن، تقديم حقائق متنوّعة، عدم إغفال أهمية أن يكون الباحث "أداة محورية" في جمع البيانات، التّركيز على وجهة نظر المشاركين... وغيرها.
- **الشّكل:** اختلاف الشّكل الفعلي المعتمد في تصميم البحث الكيفي، اختلافًا كبيرًا عن الشّكل الفعلي المعتمد في تصميم البحث الكمّي، ففصول أطروحة بحث كيفي مثلًا قد يتجاوز عدد فصول بحث كمّي تقليدي (مقدمة، عرض أدبيات البحث والمناهج والنّتائج والخاتمة)؛ إنّ البحث الكيفي يتيح فرصة الخروج عن القوالب الجاهزة؛ إذ يكتب الباحث بأسلوب مرن وفي شكل سردي بتوطئة وخلاصة قصيرة، كما الحال في بحوث دراسة الحالة. فالبحوث الكيفية لا تعترف كثيرًا التّسلسل المنتظم. (دليو، 2022، الصفحات 41 – 43)

بشكل عام، يمكن توضيح الفارق الحاصل بين الخطوات الإجرائية للمقاربة الكمية ونظيرتها الكيفية، وفقًا للجدول الآتي:

المؤشّر/ المعيار	المستوى	البحوث الكمّية	البحوث الكيفية
التّصميم العام لخطة البحث	**مراحل التّصميم**	تقليدية روتينية، تصميم انسيابي ينطلق من نقطة ما ويصل إلى هدف نهائي واضح.	مفتوحة، ترتبط بسياقات البحث وظروف الباحث والمشاركين معه أكثر.
	طبيعة التّصميم	أقل أقل مرونة	مرونة عالية
	تسلسل أجزاء البحث	تسلسل محكم	لا تعترف غالبًا بالانتظام التّسلسلي
الإجراءات المنهجية	**المناهج المستخدمة**	منهج المسوح، التّجريبي...	التّاريخي، تحليل المضمون، تحليل الخطاب، التّحليل السيميولوجي، الإثنوغرافي....
	الأدوات	استمارة الاستبانة، المقابلة العلمية المقننة، التّجربة، تحليل المحتوى	الملاحظة بالمعايشة، المقابلة العلمية غير المقنّنة، تحليل الوثائق، سير الحياة
	العيّنات	العيّنات احتمالية المختلفة (العشوائية البسيطة مثلًا)	العيّنات غير احتمالية (كرة الثّلج مثلًا)
بيانات البحث	**طبيعة البيانات**	رقمية، عددية كمّية	نصوص وعبارات
	تحليل البيانات	غالبًا ما يكون بعد الانتهاء من جمع البيانات	غالبًا تحليل البيانات يكون أثناء جمعها
	تموقع الباحث مع البيانات المحصّلة	موضوعية مطلقة لاعتبار منطق البحث	ذاتية أكثر؛ فالباحث في حد ذاته هو أداة لجمع البيانات
تقرير البحث	**شكل التّقرير النّهائي للبحث**	شكل متّفق عليه غالبًا	أشكال مختلفة نظرًا لتنوع أنماط البحث النّوعي

جدول رقم (03) يوضّح الفوارق الحاصلة في الخطوات الإجرائية بين المقاربة الكمية ونظيرتها الكيفية

2. على مستوى الأهداف:

قد أشرنا الحصة الماضية عند الحديث عن "الفوارق المعرفية" بين المقاربتين الكمية والكيفية إلى أنّه إذا كان الهدف من البحث الكمّي اختبار الفرضيات التي تتعلّق بوصف واقع معيّن من خلال بناء علاقات وقياس المتغيرا البحثية،، فإنّ البحث الكيفي يرمي إلى نسج الفرضيات، أي أولوية البيانات والميدان على الفرضيات – على عكس الكمّي – فالفرضيات تُكتشف وتكوّن من خلال الدراسة الميدانية. وهذا عمليًا يعكس ما أشرنا إليه فيما سبق، حينما ذكرنا أنّه حسب بتشرجي Bhatttacherjee فإنّ مناهج البحوث الكمية تختبر النّظريات Theory–testing، ومناهج البحوث الكيفية تبنيها theory–building.

استتباعًا لما سبق، تهدف البحوث الكمّية إلى اختبار النّظريات، انطلاقًا من نظرية موجودة سلفًا/ جاهزة يتم الانطلاق منها، بينما تهدف البحوث الكيفية إلى بنائها من حيث أنّها تنطلق من " الميدان " مباشرة، فهي بحوث تنشغل أساسًا بوصف ظاهرة معيّنة وصفًا عميقًا يتجاوز مسائل المتغيّرات والعلاقات الممكنة بينها.

3. الإحصاء كملمح محوري في البحث الكمّي:

وكما جاء في متن المحاضرات السّابقة، فإنّ الإحصاء هي مسألة مرتبطة أساسًا بالبحوث الكمّية بحكم أنّها بحوث ذات طبيعة رقمية، رياضياتية، مع استخدام ضئيل وضئيل جدًا لهذا الإحصاء في البحوث الكيفية، لذلك فإنّ النّقاش في مستوى الإحصاء يعني حتمًا في البحوث الكمّية فقط.

إنَّ فحص ومراجعة اتجاهات بحوث الاتصال والإعلام في السياق المحلي، يكشف وبشكل واضح عن هيمنة البحوث الكمية وغلبة اللغة الإحصائية في مخرجات هذه البحوث، مقابل الغياب شبه التَّام للبحوث الكيفية وكذا ندرة البحوث التي تزاوج بين الكم والكيف في آن... حيث ثير بالمناقشة العلمية "لعيَّاضي" بعضاً من النقاط المرتبطة بهذه الهيمنة:

- **منهجية التدريس السائدة:** إذ لا يزال تديس منهجية البحث في الكثير من الجامعات العربية تستبعد «البحث الكيفي»... كما أنَّ الكثير من كتب المنهجية الخاصة بعلوم الاتصال والإعلام خصوصاً الصادرة باللغة العربية تتجنب الحديث عنه.

- **هيمنة براديغم الحتميات:** فقد وجد الاتجاه الوضعي المهيمن في البحوث العلمية الإعلامية في المنطقة العربية مشروعية في ظل استشراء براديغمات Paradigms الحتميات: الحتمية التكنولوجية، الحتمية الاجتماعية.. والتي تنطلق من حقائق وتفسيرات جاهزة لا تحتاج سوى للبحوث الكمية قصد قياس وجودها وتحديد حجمها ونسبتها.
- **منطق السوق:** فالطلب الاجتماعي على بحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية ما يزال متواضعاً، ومرتهناً لمنطقيْ السوق والإيديولوجيا، وإذا ما تمَّ اعتبار السوق كقوة ناشئة في المنطقة العربية تحرك الاستهلاك الإعلامي والثقافي، فإنَّها تحتاج إلى الدراسات الكمية التي تتعامل مع حاجيات الجمهور كمعطى كمِّي.

والملاحظ هنا أنَّ المنافسة بين الفضائيات التلفزيونية للوصول إلى أكبر عدد من الجمهور لتمويلها مباشرة من مكالمات «الجمهور/ الزبون» عبر الهاتف، أو للاستحواذ على أكبر حصة من الإعلانات أو الاثنين معاً... فحمَّى رفع عدد المشاهدة كما يقول "لعيَّاضي" قدَّست الكم، فمعرفة الكم وإحصاؤه لا تحتاج إلى مقاربات نوعية.

وبالفعل لو نأخذ فلسفة المؤسسات التلفزيونية الخاصة في الجزائر، سنجد أنَّ تنافسها الإعلامي مرتبط بشكل أساسي على نسب المشاهدة (حجم الجمهور)، وعلى استقطاب المعلنين... ففي هذه الحالة «التصور الكمي»؛ المؤسسة التلفزيونية لا يهمها نوعية الجمهور المشاهد لها بقدر ما يهمها عدده وحجمه.

- **استصغار المنهجية الكيفية في الأوساط البحثية:** إذ لا تزال هذه المنهجية الكيفية تعاني من اللّا اهتمام خصوصاً في الفضاءات الجامعية من خلال بعض الأحكام التي تصدر؛ كعدم علميتها واقترابها من «الحس المشترك»، هشاشة أدواتها البحثية، ذاتيتها وانطباعيتها وإنشائيتها، معاداتها للإحصائيات، رفضها للقياس والتجريب... تأتي كل هذه الأحكام في ظل ظهور عنفوان العودة لاستخدام البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية بجامعات الدول الغربية.

حوصلة:

يتّضح ممّا سبق أنّ هنالك اختلافات واضحة في منحنيات البحث بين الاتجاهين الكمّي والكيفي؛ وعلى مستويات مختلفة؛ التّصميم، الإجراءات المنهجية، طبيعة البيانات العلمية المستهدفة وطرائق التّعامل معها، الأهداف العامّة.. وستتّضح لنا هذه الفوراق والاختلافات أكثر مع المحاضرات المقبلة والتي سنعدّد ونفصّل فيها أهم المناهج والأدوات والتقنيات البحثية المناسبة الاستخدام مع كل اتجاه من الاتجاهين.

المحاضرة رقم 07 | بين المقاربة الكمية والكيفية؛ المناهج المستخدمة في البحث الكمّي

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة السّابعة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الأربعة الموالية:

1. التّعرف على أنواع المناهج العلمية وتصنيفاتها المختلفة.
2. تقديم تصور كافٍ عن المنهج المسحي كمنهج من مناهج البحث الكمي، مع الوقوف على أنواعه.
3. التعرّف على المنهج التّجريبي وخصوصيته كمنهج من مناهج البحث الكمّي، يقوم على إقامة علاقة بين المتغيّرات البحثية.
4. معرفة المنهج القارن كمنهج من مناهج البحث الكمّي ينشغلب إجراء مختلف عمليات المقارنة الممكنة.

تمهيد:

إنّ الحديث عن المنهج البحثي، إنّما هو حديث عن تنظيم المعرفة العلمية وبنائها والمساهمة في تطويرها وتراكمها، وهذا لن يتحقّق إلّا من خلال الالتزام باختيار واستخدام ما يُناسب جودة نوع المعرفة التي سيتم إنتاجها من مناهج وتقنيات علمية في مختلف التّخصصات الطّبيعية والاجتماعية (دليو، 2022 صفحة 11) وهذا ما ينسحبُ على تخصص الاتصال والإعلام ميدان بحثنا في هذه المحاضرات.

عمليًا تناقش هذه المحاضرة مستوى أخر من مستويات الفروق المنهجية بين المقاربتين الكمّية والكيفية، وهي المستوى الثّالث (من حيث المناهج)، وفي أهمية المنهج وقيمته في البحوث العلمية ننقل ما نقله Maurice Angers عن Festinger & Katz بالقول [...] مهما كان موضوع البحث، فإنَّ قيمة النَّتائج تتوقَّف على المناهج المُستخدمة.

1. أنواع المناهج العلمية:

اختلف الباحثون منذ وقتٍ طويل في تصنيف المناهج العلمية، وفيما يلي عرض لبعض التّصنيفات لهذه الأساليب والمناهج:

صنّف **مارغيز Marguis** مناهج البحث العلمي إلى ستٍ:

- المنهج الأنثروبولوجي
- المنهج الفلسفي
- منهج دراسة الحالة
- المنهج التّاريخي
- منهج الدّراسات المسحية
- التّجريبي

وعرض **ويتني Whitney** هذه المناهج في سبعة:

- التّاريخي
- التّنبؤي
- التّجريبي
- الاجتماعي
- الفلسفي
- الإبداعي

فيما اقترح كل من **جود وسكاتس Good & Scates** ستة أنواع لهذه المناه، وهي:

- التّاريخي
- الوصفي
- التّجريبي
- منهج دراسة الحالة
- منهج دراسة النّمو والتّطور

والمُلاحظ في هذه التّصنيف تشابه وتداخل كبير مع تسجيل فرق في منهجين أو ثلاث، بحيث اعتمد كل تصنيف على معيارين أساسيين، هما:

أ- طبيعة الأسلوب أو المنهج

ب- طبيعة المادة أو الظّاهرة المدروسة (عليان، وآخرون، 2000 الصفحات 35 – 36)

2. مناهج البحث الكمّي | ويمكن استعراضها في الآتي:

1.2. المنهج المسحي:

يرى "عمّار بوحوش" أنّ المنهج المسحي هو أسلوب لجمع البيانات يتم من خلاله الحصول على المعلومات مباشرةً من الأفراد الذين يتمّ اختيارهم ليكونوا أساس الوصول إلى استنتاجات عن المجتمع البحثي قيد الدّراسة. وبهذا فالبحوث المسحية تتيح فرصة الحصول على خمسة أنواع من البيانات عن المبحوثين وهي: حقائق؛ إدراك؛ آراء، اتجاهات؛ تقارير سلوكية. (خبيزي، 2022 صفحة 45)

ويستعرض في هذا السّياق، "أحمد بن مرسلي" خمسة أنواع للمنهج المسحي تختص في دراسة المضمون والوسيلة وهي:

- **مسح الرأي العام:** والذي يستهدف معرفة الأفكار والاتجاهات والقيم والدّوافع والأراء والانطباعات... وغيرها ميدانيًا.
- **مسح مضمون وسائل الإعلام:** وذلك بتحليل المضمون بنية التّعرف على ما يتم تقديمه من موضوعات وقضايا للجمهور.
- **مسح جمهور وسائل الإعلام:** وذلك بهدف معرفة الخصائص التي تميز جمهورًا معيّنًا، عن طريق تجميع معلومات قد تفيد في عملية إعداد البرامج الإعلامية المسحية وفقًا لرغبات أو ما يريده الجمهور.
- **مسح تأثيرات سائل الإعلام:** وذلك بهدف إجراء دراسات قياسية لتأثير ما تبثه وسائل الإعلام من مضامين ومحتويات على جمهورها.
- **المسح في مجال وسائل الإعلام:** وذلك بهدف معرفة ختلفة الأنشطة والممارسات المختلفة الخاصة بالبث والنّشر والتّوزيع والإعلان وسير العمل الفني الإعلامي والإداري والمالي، والمستوى الاجتماعي الخاص بفئة العاملين... وغيرها. (خبيزي، 2022 صفحة 46)

2.2. المنهج التّجريبي:

كان أينشتاين قد أكّد بوضوح على أن التجربة الحسية هي نقطة الانطلاق في الفيزياء "بمجرد التفكير المنطقي المجرد، لا يمكننا اكتساب أي معرفة عن عالم التجربة، فكل معرفة عن الواقع تبدأ من التجربة وتؤدي إليها". (Kraus, 2023)

وتُعرف التّجربة على أنّها ملاحظة الظّواهر بعد تعديلها بغية التّحكم في الظروف والشروط اللّازمة لها، فالتّجريب يتيح للباحث إمكانية تغيير عن قصد وعلى نحو ممنهج ومنظّم متغيّرًا معيّنًا – (المتغير التّجريبي أو المستقل) ليرى إمكانية تأثيره على متغير أخر في الظّاهرة موضع الدّراسة (المتغير التّابع)، وذلك مع ضبط أثر كل المتغيرات الأخرى ما يتيح أمام الباحث فرصة الوصول إلى استنتاجات أكثر دقة. (ساعاتي، 1991 صفحة 55)

ويهدف المنهج التَّجريبي إلى إقامة العلاقة التي تربط السَّبب بالنَّتيجة بين المتغيِّرات أو الظواهر المدروسة، ولإقامة العلاقة بين السَّبب والنَّتيجة فإنَّه من الأهمية بما كان إجراء "التَّجربة" التي يتم في ضوئها معالجة متغيِّر أو أكثر بتغيير محتواه عدة مرَّات، حيث يُسمَّى هذا المتغيِّر، حيث تسمح هذه الخطوة بدراسة أثار المتغيِّر المستقل في المتغيِّر الذي يتلقَّى تأثيره والذي يُسمَّى بالمتغيِّر التَّابع.

ويقوم المنهج التّجريبي على الملاحظة الدّقيقة والمضبوطة وفق خطة واضحة توضع فيها المتغيرات المستقلّة والتّابعة، ولكي يتحقق ذلك لا بد من مراعاة جملة من الأسس عن التّطبيق، وهي: (عليان، وآخرون، 2000 الصفحات 52 – 53)

- تحديد وتعريف لجميع العوامل التي تؤثّر في المتغير التّابع.
- ضبط محكم ودقيق لجميع العوامل التي المؤثّرة في المتغير التّابع، وذلك بغية التأكد من أنّ العامل المستقل هو المسؤول عن النّتائج.
- تكرار التّجربة قدر الإمكان للتأكد من صحة النّتائج المتوصل إليها.

ويتطلب المنهج التجريبي أساليب خاصة في تصور البحث والقيام به، في مسار محاصرة كل بحث ببعض المتغيرات التي لا بد من عزلها عن العوامل الأخرى المحيطة بها، وأكثر من ذلك ينبغي أن تكون هذه المتغيرات قابلة للقياس لأن الباحث يستعين بالإحصاء في تحليل هذه النتائج. وعليه فإن المنهج التجريبي مثل أي منهج أخر لا يمكن أن يطبَّق في دراسة أية ظاهرة؛ فإذا كان بوسع الباحث

أن يستخدمه لدراسة أثر العلاقات المهنية في المردودية المهنية للصحفي مثلًا انطلاقا من إمكانية تكميم هذه المتغيِّرات وقياسها، فهذا لن يكون ملائما في الواقع عند دراسة أسباب ثورة التَّحرير الوطنية وعادات وتقاليد منطقة الأوراس.

وكمثال يُمكننا تغيير "العلاقات المهنية" (متغيِّر مستقل) السَّائدة داخل قاعة التَّحرير من أجل دراسة تأثيراتها على المردودية المهنية (متغيِّر تابع) لدى الصحفيين.

كما يظهر أنَّ هنالك عوامل أو عناصر أو متغيِّرات خارجية يُمكن أن تتدخَّل في التجربة الجارية، وتُغيِّر وجهة تأثير التغيِّر المستقل في المتغيِّر التَّابع، وهذه العوامل تأخذ أنواع، قد تكون مادية وخارجية أو مرتبطة بالأشخاص أنفسهم المشاركين في التَّجربة، والمطلوب في هذه الحالة هو عزل هذه المتغيِّرات الخارجية.

وفي مثالنا السَّابق من أجل التَّحكم أكثر في كل عناصر دراسة أثار العلاقات المهنية السَّائدة يتوجَّب علينا ضبط المتغيرات الجانبية داخل قاعة التَّحرير كوفرة أجهزة الكومبيوتر ووسائل العمل، الهدوء داخل القاعة، الفضاء الرَّحب والمريح في العمل...، ورغم الحذر المتَّخذ لإبعاد كل عامل يُمكن أن يتدخَّل بين المتغيِّر المستقل والتَّابع والتأثير في النَّتائج، فإنَّ هذا يعطي مؤشِّر بأنَّ التَّحكم التَّام في ذلك غير وارد.

ولهذا يتطلب المنهج التجريبي أساليب خاصة في تصور البحث والقيام به، في مسار محاصرة كل بحث ببعض المتغيرات التي لا بد من عزلها عن العوامل الأخرى المحيطة بها، وأكثر من ذلك ينبغي أن تكون هذه المتغيرات قابلة للقياس لأن الباحث يستعين بالإحصاء في تحليل هذه النتائج. وعليه فإن المنهج التجريبي مثل أي منهج أخر لا يمكن أن يطبَّق في دراسة أية ظاهرة؛ فإذا كان بوسع الباحث أن يستخدمه لدراسة أثر العلاقات المهنية في المردودية المهنية للصحفي مثلًا انطلاقا من إمكانية تكميم هذه المتغيِّرات وقياسها، فهذا لن يكون ملائما في الواقع عند دراسة أسباب ثورة التَّحرير الوطنية وعادات وتقاليد منطقة الأوراس.

والواضح أنَّ المنهج التجريبي يحمل بصمات العلوم الطبيعية؛ حيث يعتبر هو منهجها النَّموذجي. أما استخداماته في العلوم الإنسانية فهو محدود لأسباب متنوعة؛ أولها لأن ظواهر العلوم الإنسانية لا تتيح القياس دائمًا كما يتطلبه تحليل النَّتائج التَّجريبية. ثانيها لأن موضوع الدِّراسة وهو في

هذه الحالة الكائن البشري، لا يمكن إجراء التَّجارب عليه إراديا وذلك على عكس موضوع علوم الطبيعة، لهذا فإن أخلاقيات البحث واحترام حقوق الأشخاص تتطلب رضى الشَّخص بالمشاركة في التَّجربة. وأخيرًا، فإن تعقد بعد الظواهر الإنسانية لا يمكن إرجاعه الى العلاقة البسيطة الرابطة بين السَّبب وأثره. والأمر كذلك بالنسبة إلى معظم أحداث الماضي وكذا الظواهر التي تهم المجتمع كله.

3.2. المنهج المقارن:

يعتبر المنهج المقارن أحد المناهج البحوث التي تبحث وتتقصّى في بواعث حدوث الظّاهرة أو الظّواهر، عن طريق إجراء عمليات مقارنة بظواهر أخرى مشابهة، وذلك بغية الوقوف على العوامل المسبّبة لحدوث هذه الظاهرة والتّعمق أكثر في فهم أسبابها وتفاصيلها وحيثياتها، مع إبراز أوجه الشّبه والاختلاف عند عقد المقارنة، وكل هذا بغية الوصول إلى الحقائق العلمية المتعلقة بالظّاهرة أو الظّواهر قيد الدّراسة.

ويمكن القول تبعًا لـ "كولينو" Colino أنّ **أهداف** التّحليل المقارن تتمثّل في:

- بحث أوجه التّشابه والاختلاف (التّباين بين الحالات)، الأمر الذي يسمح بـ:
- ملاحظة الانتظامات، والتي يجب أن تفسّر من خلال:
- اكتشاف التّباين المشترك أو تفسير التّنوع، والذي يتمّ عادة من خلال،
- اختبار الفرضيات التّفسيرية، ممّا يؤدّي إلى شرح تعقيد العلاقات السّببية ووضع تعميمات أو مبادئ توجيهية واضحة، والتي تسمح في النّهاية بـ،
- إثبات نظريات أو نفيها أو تطوير نظريات جديدة. (دليو، 2022، صفحة 286)

وللمقارنة شروط عديدة وكثيرة، نستعرض أهمها:

- يجب أن لا ترتكز المقارنة على دراسة ظاهرة أو حادثة واحدة، وإنما يجب الاستناد على دراسة مختلف أوجه التّشابه والاختلاف بين ظاهرتين أو حادثين، أو أكثر.
- أنس تكون هنالك أوجه شبه وأوجه اختلاف، فلا يمكن مقارنة ما لا يُقارن.
- تفادي المقارنة السّطحية، والتّركيز على المقارنات الجادة والعميقة.
- أن تخضع المقارنة لمحدّدي الزّمان والمكان، إذ لا بدّ من أن تقع الحادثة الاجتماعية في زمان ومكان معلومين، نستطيع مقارنتها بحادثة مشابهة وقت في مكان وزمان مختلفين.

- المقارنة تتطلّب ملاحظة شيء أو أشياء مشتركة بين الظّواهر والموضوعات المقارن بينها، على اعتبار أنّ المنهج المقارن يستلزم هذا الشيء أو الأشياء المشتركة بين الموضوعات المقارنة، وهذا الشيء يمكن أن يتمثّل في علامة، خاصية، رابطة... أو ما شابه.
- المقارنة تتطلب دائمًا اعتبار المبدأ التّاريخي، فلا يمكن مثلًا مقارنة دولة الو. م. أ مع دولة الفراعنة، بالرّغم من أنما يشكّلان معًا ظاهرة واحدة وهي "ظاهرة الدّولة".
- تتطلّب المقارنة وفرة المعلومات الكافية والواسعة حيال موضوعات المقارنة، فمثلًا لا يستطيع الباحث أن يقارن بين النّظام الأنجلوساكسوني ونظام أخر، دون أن يكون قد اطّلع بشكل جيّد ودرس دراسة شاملة النّظم والموضوعات الأخرى. (قاشي، 2021 الصفحات 157 – 159)

هنالك أنواع وصور عديدة للمقارنة، لكنّنا في هذا المقام وأخذًا بطبيعة المقياس "المقاربات الكمّية والكيفية" سنتناول المقارنة الكمية والمقارنة الكيفية:

- **المقارنة الكمّية:** ترتكز هذه المقارنة على عملية الضّبط والإحصاء الكمّي والعددي، من خلال إحصاء عدد وارقام الظّاهرة او الحاجثة، وفقًا لوحدة قياس معيّنة أو كم أو عدد محدّد. وتبرز هنا عملية الإحصاء كأداة من أدوات البحث العلمي في هذا النّوع من المقارنات.
- **المقارنة الكيفية:** ينشغل هذا النّوع من المقارنة بالتّركيز على مسبّبات وعوامل حدوث الّاهرة أو الحادثة، كيف حثت؟ وما هي مسبباتها الحقيقية؟ أين يعتمد هذا النّوع على المقارنات على الدّراسة والتّحيليل النّظري لأسباب وعوامل خدوث الظّاهرة قيد البحث، وجمع أكبر قدر ممكن من المعطيات والبيانات أو المادة العلمية ذات الصّلة، وذلك بدراستها وفحصها ومعرفة خصائصها وأصنافها ةاستخراج أوجه التّشابه والاختلاف بيها، ثم مناقشتها للوصول إلى النّتائج المتعلّقة بكيفية حدوث الظّاهرة أو الحادثة. (مجدوب، 2023، الصفحات 293 – 294)

حوصلة:

هذا عن أهم المناهج الشّائعة في البحوث الكمية، بالإضافة إلى وجود مناهج أخرى تقترب من فلسفة البحث الكمّي ذات الطّابع القياسي. ومن بينها المنهج الإحصائي، النّمذجة الرّياضية، التّجارب المعملية والاختبارات الميدانية، التّحليل الكمّي للبيانات الكبيرة (Big Data Analysis)... وغيرها من المناهج التي تستخدم في ميادين وحقول العلوم الاقتصادية على وجه التّحديد.

المحاضرة رقم 08 | بين المقاربة الكمية والكيفية؛ المناهج المستخدمة في البحث الكيفي

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة الثّامنة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الخمسة الموالية:

1. الوقوف على منهج **التّحليل السيميولوجي** كمنهج من المناهج النّوعية.
2. التّعرف على خصوصية **المنهج الإثنوغرافي** أو منهج دراسة الاعراق كمنهج تأويلي يهتم بوصف حياة النّاس وفهم طريقتهم.
3. لفت الإنتباه إلى **المنهج النتنوغرافي** كمنهج تأويلي جديد ينشغل بفهم سلوكيات الأفراد وتصوراتهم وثقافاتهم وممارساتهم داخل الفضاء الرّقمي.
4. التّعرف عند **منهج تحليل الوثائق** كمنهج يقوم على عملية فحص الوثائق واستخراج مكوناتها وعناصرها الأساسية والعلاقات الموجودة بينها.
5. الوقوف على خصوصية كل من المنهجين التّاريخي ودراسة الحالة.

تمهيد:

عمليًا تُناقش هذه المحاضرة أهم المناهج المستخدمة في البحوث النّوعية، فإذا كان البحث الكمّي تتنوّع مناهجه على استخدام المنهج المسحي، التّجريبي والمقارن، فإنّ المنهج الكيفي متنوّع ومتعدّد المناهج أيضًا، وأبرز هذه المناهج نجد منهج التّحليل السيميولوجي، المنهج الإثنوغرافي، المنهج النتنوغرافي كمنهج جديد وهو على امتداد بالإثنوغرافيا التّقليدية، بالإضافة إلى منهج التّحليل الوثائقي الذي يعد من أندر المناهج إستخدامًا في البحوث وال{راسات الغعلامية على وجه التّحديد.

يُمكن استعراض أهم مناهج البحث الكيفي في الآتي:

1. منهج التّحليل السيميولوجي:

المنهج السيميولوجي هو مجموعة تقنيات تحليلية تستعمل لدراسة العلامات ودلالتها، ومن بين أبرز التّعريفات الاصطلاحية المتداولة ما أوردته جوليا كريستيفا Julia Kristeva عام 1669 حينما قدّمته على أنّه "مجموعة تقنيات وخطوات تستخدم لوصف وتحليل الدلالة الذّاتية في الأشياء وحتّى في علاقتها مع أطراف أخرى، وهو لا يقتصر على التّحليل بل يمتد إلى نقد المعنى في نظام ما، بل ونقد العناصر المكونة لهذا المعنى ولقوانينه". وهو بذلك كما يقول الأستاذ دليو قد يتداخل مع تحليل المحتوى وخاصة تحليل الخطاب الذي يعتبره البعض شاملًا له. (دليو، 2022، صفحة 122)

وعند الحديث عن تحليل السيميولوجي، يمكن أن نستحضر مجموعة من الشّبكات المتداولة في تحليل الصورة، مثل شبكة "مارتن جولي"، شبكة "جيرفيرو"، بالإضافة إلى شبكات أخرى مثل شبكة "بانوفسكي"، وشبكة "بينتو وآخرون"... بالإضافة إلى مساهمات أخرين مثل "فايي غاستامينثا"... وكل هذه النّماذج تجمع على وجود مستويين في التّحليل: الظّاهري المباشر والباطني غير المباشر. وعند الحديث أيضًا عن التحليل السيميولوجي، يمكن نستحضر مباشرة التحليل السيميولوجي للمدونات النصية والسمعية البصرية، ويمكن أن نستحضر هنا إسهامات كثيرة في هذا لجانب، مثل "فانوي" و"قوليو–ليتي" الذين حددا العناصر الأساسية التي يجب مراعاتها عند تحليل أي فيلم (تحليل اللقطة، المشهد، وصف وتحليل العلاقة بين الصوت والصورة، التحليل الفني للعبارة الخطية، ترتيب العناصر في جدول...)، بالإضافة إلى أعمال "بيلور" التي تعكس فائدة تطبيق المعايير المستخرجة من النقد الأدبي في دراسة الأفلام السينمائية بهدف زيادة مرجعية السمعي البصري، وخاصة إلى أهم نماذج تحليل الأفلام ذات الأصول اللسانية: مثل نموذج "ميتز" Metz، "دوسوسير" De saussure، نموذج "أودين" Odin، نموذج "بيرس" Pierce. (دليو، 2022، الصفحات 122 – 150)

2. المنهج الإثنوغرافي أو منهج دراسة الأعراق:

يعرّف سبرادلي Spradley الإثنوغرافيا على أنها "العمل على وصف الثقافة" بهدف رئيسي هو فهم "طريقة حياة أخرى من وجهة نظر السكان الأصليين". في حين ينظر تشاتمان Chatman للإثنوغرافيا على أنها الطّريقة التي تسمح للباحث بالحصول على وجهة نظر داخلية من خلال

الملاحظة والمشاركة "في البيئات الاجتماعية التي تكشف عن الواقع كما يعيشه أفراد تلك البيئات". (Kumar, 2023, p. 03)

يعرف المنهج الإثنوغرافي على أنّه الدّراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة القيم والعادات والتّقاليد والأدوات والفنون والمأثورات الشّعبية لدى جماعة ما أو مجتمع معيّن خلال فترة زمنية محدّدة. ويعرّفه أوجيو بأنّه "طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع ما وطرقه في عيش الحياة، من خلال معرفة أفكار أعضائه، ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكهم، وما يصنعونه من أشياء يتعاملون معها، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة في الوصع الطّبيعي من جانب المبحوث".

ويتميّز المنهج الإثنوغرافي بجملة من الخصائص المميزة، تُعرض في الآتي:

- ينطلق المنهج الاثنوجرافي من مفهوم نظري وفلسفي مناقض لمفاهيم وفلسفة البحوث الكمية، ففي الوقت الذي يسعى البحث الكمي الإحصائي إلى تحديد الأسباب والتنبؤ وتعميم النتائج، يسعى البحث الاثنوجرافي إلى التبصر والفهم والاستكشاف.
- يركّز المنهج الاثنوجرافي على الوصف والتحليل باستخدام الكلمة والعبارة والنّص، كبديل للأرقام والجداول الإحصائية التي تغرق بها المناهج الكمّية.
- ينشغل المنهج الإثنوغرافي بالوصف المكثّف للظاهرة محل الدراسة.
- يهدف البحث الاثنوجرافي إلى الكشف عن غير المألوف، وغير المتوقع أو المستور أو المسكوت عنه، من خلال دراسة الظاهرة بالاعتماد على مشاركة الباحث المعمّقة للمجتمع قيد البحث.
- يأخذ المنهج الاثنوجرافي في تجميع بياناته أساسًا بالملاحظة العلمية، خصوصًا الملاحظة بالمشاركة، والمقابلة المفتوحة المتعمقة مع عينة الدراسة.
- يمتاز هذا المنهج بالمرونة في الأسلوب والتحليل، كما أنه بحث غير مقنّن من حيث أنّه لا يخضع لا لشروط ولا لضوابط المتغيّرات.
- يتميز هذا المنهج بمقدرته على الكشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة أثناء إجراء الدراسة.
- يتّصف البحث الاثنوجرافي بأنه بحث تفاعلي وتفاوضي، يتطلب وقتا طويلا للملاحظة والمقابلة وتسجيل المعلومات كما تحدث بشكلها وفي مواقفها الطبيعية/ الاعتيادية.

- يهتم البحث الإثنوجرافي بوصف السّياق، دون محاولة من الباحث بشكل مباشر وقوي فرض نظامه أو معتقداته على المواقف البحثية.
- يركز البحث الاثنوجرافي على دراسة حالة اجتماعية معينة أو حدث معين، وتقديم فهم شامل عن الحالة أو الحدث، ويعتمد هذا الوصف على النّص أكثر من اعتماده على لغة الأرقام. (بن عمروش، 2020، صفحة 303)

ويمكن تلخيص خصائص المنهج الإثنوغرافي مع ربط عناصر أخرى بها في:

- يقوم على دراسة حالة واحدة صغيرة أو جماعة معيّنة، مثل الاتصال غير اللّفظي ودوره في التّحصيل البيداغوجي لطفل الطّور الابتدائي...
- يركّز الباحث في المنهج الإثنوغرافي على دراسة السلوك في الوضع الطّبيعي أو كما يحدث في الواقع، كأن يدرس سلوك الجمهور في موقع من مواقع التّواصل الاجتماعي بنية معرفة هذا السلوك في سياقاته الفعلية الطّبيعية غير المفتعلة.
- يعتمد هذا المنهج على مفهوم "إشراك المبحوثين" من خلال تقديم نظرتهم بصورة شمولية وفاعلية، حيث أن مجريات البحث والأسئلة المثارة خلاله ليست مشتقة من رؤية الباحث وخلفيته الفكرية والثقافية، بل على العكس، إذ على الباحث الإثنوغرافي أن يندمج في حقل الدراسة بذهنية ثقافية ومعرفية مفتوحة، وأن تنصب مهمته في معايشة مجتمع البحث، ومحاولة نقل أقوال مبحوثيه دون تدخل.
- يهتم البحث الإثنوغرافي بدراسة الأشكال الثقافية بالمفهوم الواسع للمصطلح، والذي يشتمل على كل ما في الحياة اليومية، بما تتضمنه من صور مختلفة من القيم والسلوكيات والعادات...
- يركز البحث الإثنوغرافي على وصف السياق دون تدخل ودون محاولة من الباحث فرض منطقه أو نظامه أو معتقداته على الموقف البحثي الذي يعايشه.
- إضافة إلى الملاحظة بالمعايشة، يعتمد البحث الإثنوغرافي على العديد من التقنيات والأدوات كالملاحظة المباشرة، المقابلة نصف موجّهة، المحادثة غير الرّسمية، المحادثة المعمّقة، القصص والحكايا... وغيرها. (خبيزي، 2022 الصفحات 83 –87)

استئناسًا بما سبق، ارتكزت البحوث الكيفية في مجال الإعلام على الدّراسات الإثنوغرافية التي انشغلت بنشاطات قاعات التّحرير ومنتجي المواد الإعلامية ومستهلكيها (الجمهور)، وعلى الرّغم كما يقول الأستاذ "لعيّاضي" من أنّ هذه الدّراسات وظّفت أدوات البحث التّقليدية التي رسّختها البحوث الأنثروبولوجية إلّا أنّها كيّفتها مع متطلّبات البحث عبر شبكة الانترنت، تحت اسم "الاثنوغرافيا الرّقمية" Digital Ethnoghraphy، ومن الدّراسات الهامّة في هذا الاتجاه نجد الدراسة التي أجريت على الصحيفة الهولّندية فولكس كرانت "صحيفة الشّعب"، وكذا الدّراسة التي أجريت على قاعات المحطّات الجهوية لإذاعة BBC، وكلاهما في كانتا حول موضوع عملية المواءمة Convergence داخل قاعات التّحرير. (لعيّاضي، 2019، صفحة 109)

ويندرج تحت المنهج الإثنوغرافي منهج أخر يسمى بالمنهج "**النتنوغرافي**" وهو منهج تأويلي يشتغل على فهم سلوكيات الأفراد وتصوراتهم وثقافاتهم وممارساتهم داخل الفضاء الرّقمي على موقع الأنترنت وعلى منصّات التّواصل الاجتماعي المختلفة، حيث تعدّ تطوّرًا لمنهج الإثنوغرافيا التّقليدية المستخدمة في مجال الأنثروبولوجيا. وهي التي تعتمد بشكل محوري على مفهوم المشاركة والملاحظة الحيّة عند دراستها وتحليلها للظّواهر والموضوعات والسلوكيات الثقافية النّاشئة في الفضاء الرّقمي، ويمكن وصفها أيضًا على أنّها "كتابة عن الثقافات" عبر الأنترنت وعلى منصات التّواصل الاجتماعي ومنصّات الويب الأخرى... حيث يقوم كل هذا على العمل الميداني الافتراضي وعلى عنصري المرونة والقابلية للتّكيف مع السّياقات البحثية المختلفة. (مكرتار، 2023، صفحة 08)

3. منهج تحليل الوثائق:

يذهب دليو بالقول أنّ التحليل الوثائق باعتباره نوعا من أنواع تحليل المحتوى، يتمثّل خاصة في عملية فحص الوثائق واستخراج مكوناتها وعناصرها الأساسية والعلاقات الموجودة بينها. وهو غالبًا ما يرتبط بتخصّص علم المكتبات والمعلومات، وهو أيضًا – منهج التّحليل الوثائقي – عبارة عن عملية فكرية تقتضي تحليلًا وتأويلًا وتلخيصًا للمعلومات... – كما ينقل دليو عن كاستيلو Castillo – . (دليو، 2022 صفحة 184) وتذهب سوليس Solis فيما ننقله عن دليو بأنّها العملية التي تتكون من اختيار الأفكار المهمة معلوماتيًا من وثيقة ما، للتعبير عن محتواها بدقة بغية استرداد المعلومات الواردة فيها. (دليو، 2020 صفحة 107)

ويستعرض دليو تقسيم شوميي Chaumier لنوعين في التّحليل الوثائقي، هما:

- **التّحليل بواسطة التكثيف (Condensation) النّصي أو التلخيص**، والذي ينقسم بدوره إلى نوعين اثنين: الملخصات حسب الشكل (إخبارية، تحليلية، وصفية، نقدية...) وكذا الملخصات حسب المصدر (ملخص المؤلف وملخص المحلل المختص). ويعطي هنا مثال للكتاب الذي يمكن تلخيصه "تكثيف محتواه" من خلال إعداد بطاقة قراءة تتضمن العناصر التّالية: عنوان العمل "بطاقة قراءة حول كتاب كذا"، مقدمة توضيحية للعمل ككل، التعريف بموضوع الكتاب ونبذة عن مؤلفه، فصول الكتاب ومحتواه باختصار وبصياغة شخصية، الفكرة العامة للكتاب، أفكاره الفرعية، النّتائج العامة للكتاب – إن وجدت –، تقييم قائمة مراجع الكتاب من حيث: العدد، الحداثة، اللغة...، خاتمة عامة حول الفائدة المكتسبة من قراءة هذا الكتاب وملاحظات حوله.
- **التحليل بواسطة الفهرسة (Indexation)** على مرحلتين: استخراج المفاهيم وترجمتها إلى لغة وثائقية.

وقد تطَّور لاحقًا هذا التصنيف الثنائي "تلخيص/ فهرسة" ليعتمد ثنائية أخرى مستلهمة من منهجية تحليل المضمون التقليدية والتي تقسمه إلى شكل ومحتوى. ومنه، أصبح التحليل الوثائقي "تقليديًا ومكتبيًا" يتكون من عمليات تحليلية أساسية، تشمل الشكل والمضمون:

- ✓ الوصف الفيزيقي: بيوغرافي/ توثيقي، أي تحليل شكلي/خارجي.
- ✓ تحليل المحتويات: الفهرسة – كلمات مفتاحية وواصفات–، الملخص والتصنيف (دليو، 2020 صفحة 109).

4. المنهج التّاريخي:

يعرف المنهج التّاريخي في التّناول السوسيولوجي على أنّه نشاط علمي يُستخدم للتّعليم واكتساب خبرات ومبادئ وحقائق جديدة في ضوء دراسة الوثائق والسّجلات، وهو أكثر استعمالا في دراسة التّاريخ والأدب والانسانيات. ويطلق على المنهج التّاريخي أيضًا اسم "التأريخ،" باعتباره الطّريقة العملية الوحيدة لدراسة الاحداث التّاريخية الماضية. (عيشاوي و قرليفة، 2018، صفحة 160)

إنّ المنهج التّاريخي أو المنهجية العلمية الخاصة بالتّاريخ كمجال اجتماعي يقصد به تلك التقنيات والمبادئ التّوجيهية التي يتبعها المؤرّخون في استخدامهم للمصادر الأولية والثانوية بغية تدوين وكتابة التّاريخ. وتتمثّل أهم الاجراءات أو المبادئ الأولية المتّبعة من طرف المؤرّخين:

1. في تحديد مكان/ موقع المصادر الوثائقية (المصادر الأولية أو المادة الخام للمؤرّخ) وجمعها؛ أي المرحلة الاستكشافية.
2. نقد هذه المصادر مع التّمييز بين نقدها الدّاخلي والخارجي؛ أي المرحلة النّقدية.
3. القيام بالتّركيب التّاريخي أو عرض الاستنتاجات الختامية قبل إخضاعها للنّقاش العلمي المتخصّص ثمّ نشرها؛ أي مرحلة التّجميع والعرض. (دليو، 2015 الصفحات 43 – 44)

وعليه فإنَّ المنهج التَّاريخي يسمح بتشريح تفحص ومراجعة الوثائق، وأيُّ تطبيق له يتوقف على اكتشاف وثائق أخرى جديدة والمحافظة على القديمة منها، وفي هذا يعتبر Belleau نقلًا عن Maurice Angers أنَّ المنهج التَّاريخي ليس مجرَّد بحث في الوثائق، بل يُعتبر أيضًا إجراءً لإثبات أصالة الوثائق وترميزها والحفاظ عليها. (أنجرس، 2004)

5. منهج دراسة الحالة:

تعد "دراسة الحالة" Case Study، نوع من البحوث النّوعية، والتي من خلالها يتم اكتشاف الظّاهرة المراد دراستها، ويجمع المعلومات باستخدام وسائل عدة خلال فترة زمنية معيّنة. حيث يرى جول Gall أنّ الباحث يقوم بدراسة الحالة للأسباب الثلاثة الآتية:

- إعطاء وصف تفصيلي عن الظّاهرة.
- إعطاء توضيحات معيّنة حولها.
- تقييم الظّاهرة قيد الدّراسة. (خبيزي، 2022 صفحة 95)

كما يرى **شيّا** في مقام رصده للتقنيات البحثية، أنّ "**دراسة الحالة**"، تعد التقنية الأكثر ملاءمة عند تفكيك الظّاهرة موضع البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل عام. فدراسة الحالة هي تقنية مناسبة جدًا لموضوعات عدة؛ حينما نتناول شخصًا، مؤسّسة، جماعة صغيرة، مشروعًا معيّنًا،

وحدة اجتماعية، برنامجًا ما، عملية في طور الإنجاز أو أخرى تجمّدت... وغيرها. (شيّا، 2018 صفحة 10)

إجمالًا منهج دراسة الحالة يُعرض على أنّه:

- إحدى المناهج الوصفية.
- يمكن أن تُستخدم دراسة الحالة لاختبار فرضية أو مجموعة قرضيات.
- عند استخدام الحالة لّلتّعميم، من الضّروري التأكد من أن الحالة المراد دراستها ممثلة للمجتمع الذي يراد التعميم عليه.
- ينبغي مراعاة الموضوعية والابتعاد عن الذاتية في اختيار الحالة، وجمع المعلومات عنها ثم في عملية التحليل والّتفسير. (بن عمروش، 2020، صفحة 304)

بشكل عام، يهدف منهج دراسة الحالة حسب Bromley إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- إكتشاف الأسباب الجوهرية للأوضاع الحالة، من خلال التّحليل العلمي الدّقيق والوصف الشّامل العميق للمعطيات والمعلومات.
- وضع خطة لتحسين هذه الأوضاع أو تصحيح مسارها.
- الحرص على تعديل الاتجاهات غير المرغوبة أو تغييرها.
- التّعرف على الحقائق وتسجيلها بموضوعية، قبل تحليلها بغرض تشخيصها والوصول بها إلى استنتاجات ومبادئ عامّة.
- تقديم تصور شامل لإمكانية الاستفادة من استخدام الحقائق المتوصل إليها في العلاج النفسي أو التنمية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية... وغيرها. (بوذراع، 2001، الصفحات 286 – 287)

يُشار أيضًا في سياق عرض مناهج البحث العلمي المستخدمة في البحوث الكيفية، إلى أن هنالك مناهج أخرى كمنهج تحليل الخطاب، المنهج البيوغرافي، منهج التّحليل المقارن الكيفي... وغيرها، كما يجب التّنويه إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أنّ هذه المناهج وغيرها يتم استخدامها في سياقات علمية مختلفة، فقد يرد بعضها في خانة الأساليب والتقنيات مثلًا.

حوصلة:

عمومًا، وبناءً على ما سبق فالمنهج العلمي هو أسلوب للتّصور والتّفكير ومن ثمّ التّنفيذ يلتزم به الباحث قصد تنظيم أفكاره وتحليليها في طريقه بحثًا عن النّتائج العلمية المرجوة، كما يمكن اعتبار هذه المناهج السّابق تفصيلها – كوسائل بحث وُضعت في متناول كل العلوم الإنسانية التي تسعى بدورها إلى الاستفادة منها، ومن ثمَّ إثراء حقل دراستها.

المحاضرة رقم 09 | بين المقاربة الكمية والكيفية؛ الأدوات والتقنيات
"أدوات المقاربة الكمّية"

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة التّاسعة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الأربعة الموالية:

1. التّعرف على أهم أدوات المنهج الكمّي المستخدمة في البحوث العلمية وفلسفتها.
2. التّعرف على مفهوم الملاحظة العلمية ذات الطّابع الكمّي ومزاياها.
3. التّعرف على خصوصية الاستبانة العلمية، ومتطلبات تصميمها وصياغة أسئلتها.
4. مناقشة مفهوم المقابلة العلمية في صورتها المقنّنة، ومزاياها.

تمهيد:

عمليًا تُجيبنا هذه المحاضرة العلمية عن السؤال "بماذا أبحث؟"، حيث يجد الباحث نفسه أمام تقنيات بحثية متعدِّدة يتساءل بينه وبين نفسه: ماذا أختار؟ وما هي التقنية الأكثر كفاءةً وملاءمةً لموضوع بحثي؟ في هذه المحاضرة سنركِّز على أهم ثلاث تقنيات بحث أساسية في المنهج الكمّي فيما له صلة البحث الاتصالي والإعلامي وهي الملاحظة العلمية، المقابلة العلمية واستمارة الاستبيان، على أن نستعرض أدوات وتقنيات المنهج الكيفي في المحاضرة المقبلة.

1. أدوات البحث الكمّي والتوجّه الواحد:

تعتمد أدوات المنهج الكمّي أساسًا على القياس measurement؛ فهي الأسلوب الرّئيسي التي تستخدمها مناهج البحوث الكمية عند ملاحظة وتكميم ظاهرة ما؛ وأخذًا بهذا فإنّ القياس يمنحنا فرصة صياغة التّعبير الكمّي (رياضياتي، إحصائي، نِسب... وغيرها)، فهو يصف العلاقة الممكنة بين متغيّر وأخر داخل الظّاهرة موضوع الدّراسة. (شيّا، 2018 الصفحات 06 – 07)

وتتشرّط البحوث الكمية توظيف أساليب مختلفة لجمع البيانات. حيث تشمل هذه الأساليب تجميع البيانات العددية "الإحصائية" لاختبار العلاقات السّببية بين المتغيّرات البحثية. وتتضمن بعض أشكال جمع البيانات لهذا النوع من البحوث الآتي:

- التجارب "Experiments".
- الاستبيانات "Questionnaires".
- الدّراسات الاستقصائية "Surveys".
- تقارير قواعد البيانات "Database reports". (McLead, 2023)

وإن كان بعيدًا عن بحوث الإعلام والاتصال، يقدّم لنا Saul McLead مثالًا عن توظيف البيانات الكمّية في البحوث النّفسية وبالتّحديد في حقل الصّحة النّفسية، مثل "التقييمات النّفسية الموحّدة" ، ومن بين الأمثلة على التّقييم النّفسي المعياري لمعدل الذّكاء الذي يستخدِم البيانات الكمية هو مقياس "ويشسلر" لذكاء البالغين (WAIS). ونجد مقياس أخر هو مقياس الخبرة في العلاقات الوثيقة (ECR)، وهو استبيان تقرير ذاتي يُستخدم على نطاق واسع لتقييم أنماط التعلق لدى البالغين. بالإضافة إلى بيانات الّتصوير العصبي؛ حيث يوفّر التّصوير بالرّنين المغناطيسي والتصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي بيانات كمية عن بنية الدماغ ووظائفه. (McLead, 2023) وهي أمثلة وغيرها تبرز حاجة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية إلى توظيف واستخدام البيانات الكمّية ذات اللغة الاحصائية في مختلف الأبحاث والدّراسات التّخصصية.

2. أهم أدوات المنهج الكمّي المستخدمة في البحوث العلمية| ويمكن عرض أهم أدوات وتقنيات البحث الكمّي في:

1.2. الملاحظة العلمية:

1.1.2. مفهوم الملاحظة العلمية:

وفقًا لإرزيك ونولا Irzik & Nola (2022)، فإن الملاحظة في أبسط أشكالها "هي التعرف على حدث أو واقعة ما وتسجيلها لاحقًا من خلال الحواس الخمس دون الاستعانة بأي أداة". ومع ذلك، يوضح الباحثان أن مثل هذا الشكل البسيط من الملاحظة بطبيعته، لا يعد بالكثير من المعرفة، وبالتالي فإن أي محاولة لوضع تعريف يجب أن تظل حتمًا غير مكتملة. (Kraus, 2023) أي أنّ أي مفهوم يقدّم لأداة الملاحظة لا يمكن بشكل أو بأخر أن يحيط بها كأداة علمية بشكل كاف.

ويرى كل من جورمان وكلايت Gorman & Claytondefine (2005) دراسات الملاحظة بأنها تلك التي "تقوم على التّسجيل المنهجي للظواهر أو السلوكيات التي يمكن ملاحظتها في بيئة طبيعية". (Kumar, 2023, p. 02)

تعد الملاحظة أيضًا أحد أدوات البحث الكمّي، غيرها أنّها تختلف اختلافًا واضحًا في الاستخدام في حالة المنهج الكيفي، بحكم أن هذا الأخير يتطلب ملاحظة عميقة ومشاركة في مختلف الظّواهر المدروسة والتباحث مع المشاركين على مسافة قريبة جدًا. وبالتّالي فإنّ الملاحظة في الاتجاه الكيفي هي "ملاحظة كمّية منظّمة".

وتعتمد الملاحظة على تأمل وفهم الظاهرة الاجتماعية – ومنها الظّاهرة الاتصالية والإعلامية – في وضعها الطبيعي، إذ تستخدم أساسًا في جمع معلومات كيفية ووصفية حول الموضوع المدروس من خلال رصد السلوكيات والتّصرفات والمواقف وفي هذا تُسمى ملاحظة "**كيفية غير منظمة**" والتي تُسجل فيها الملاحظات بشكل عفوي وطبيعي. في حين أنّ الملاحظة التي يتم فيها رصد الخصائص العامة للمبحوثين من حيث النّوع والعدد والشّكل والتي تعمد لرصد وجمع معلومات رقمية وكمية تكون بشكل مقنن أكثر، أي أنّها ملاحظة "**كمّية منظّمة**". ويُمكن للملاحظة العلمية عين المكان – بشكل عام – أن تأخذ أكثر من شكل.

2.1.2. مزايا الملاحظة العلمية| للملاحظة العلمية العديد من المزايا والإيجابيات، نعرض أهمها:

- توفر قدر عال من البيانات والمعلومات إزاء الموضوع أو الظّارة المراد البحث فيها، من منطق أن الباحث يسجل كل كبيرة وصغيرة تخص الظّاهرة المبحوث فيها.
- تمنح الباحث فرصة تجميع بيانات حقيقية وطبيعية في ظروفها عن المبحوثين الذين تجرى معهم الدّراسة، خصوصًا في حالة "الملاحظة دون مشاركة" التي توفر حقائق غير مصطنعة.
- ربطًا بالنقطة السابقة، تعطي الملاحظة العلمية للباحث فرصة تجسيد "الموضوعية"، وعدم التّدخل في طبيعة البيانات المجمّعة مع عدم التّحيز بشكل أو بأخر، من منطق أنّه يقوم بتسجيل وتدوين ما لاحظه في شبكته النهائية.
- اقتصاد في التكلفة بشكل واضح، قياسًا بأدوات وتقنيات بحثية كثيرة تتطلب توافر بعض الوسائل والمعدات والظروف إلتجميع البيانات.
- يمكن للملاحظة كأداة بحثية أن تنجز في هامش زمني واحد، وخلال مدة زمنية صغيرة جدًا، شريطة أن يكون الباحث ذكيًا، فطناً وماهرًا في الملاحظة ورصد الظّاهرة، وهذه الميزة بالذّات قد يصعب توفيرها مع أدوات بحثية أخرى.

2.2. الاستبانة العلمية:

1.2.2. مفهوم الاستبانة العلمية:

تعد الاستبانة من أكثر تقنيات البحث استخدامًا وشيوعًا في ميدان العلوم الإنسانية، وهي تقنية مباشرة لطرح الأسئلة على الأفراد وبطريقة موجَّهة، ذلك لأن صيغ وخيارات الإجابة يُحدِّدها الباحث قبلًا، وهذا ما يسمحُ بالقيام بمعالجة كمّية بهدف اكتشاف علاقات رياضية وإقامة مقارنات كمّية. لذلك فإن الاستمارة هي وسيلة للدخول في اتصال مع المبحوثين، بواسطة طرح الأسئلة عليهم فردًا فردًا وبالطريقة نفسها، سعيًا لاستخلاص اتجاهات وسلوكيات مجموعة كبيرة من الأفراد انطلاقًا من الإجابات المتحصَّل عليها.

تأخذ عملية تقديم استمارة الاستبانة إلى المبحوثين شكلين أساسيين؛ أما الشَّكل الأول وهو الغالب ملأ الاستمارة **حضوريًا** بوجود الباحث شخصيًا أو فريق عمله وعمليًا هذا هو المطلوب، فيما الشَّكل الثاني "**الملأ عن بُعد**" ويتم عبر أساليب مختلفة، كالتَّواصل الهاتفي بين الباحث والمبحوث، أو تحرير الاستمارة وإرسالها إلكترونيًا عبر البريد الإلكتروني للمبحوث وانتظار ملئها وإعادة إرسالها، مع

أنَّ الأسلوب الشائع عن بعد اليوم هو "الاستمارة الإلكترونية"، التي يبنيها ويضبطها الباحث ويقوم بإرسالها عبر مختلف منصات ووسائط الاتصال الاجتماعي أو حتّى عبر البريد الإلكتروني، ومن بين أهم إيجابيات هذه الاستمارة الإلكترونية وضوحها في البناء وسهولة تفريغها عند التَّحليل لاحقًا.

2.2.2. متطلبات تصميم استمارة الاستبانة:

تتطلب عملية تصميم استمارة الاستبانة بعضًا من الشروط الأساسية التي ينبغي أن تتوافر لدى الباحث، أهمها:

- أن تُقسَّم استمارة الاستبانة إلى أجزاء كبرى، وفي الغالب يتم تقسيمها إلى ثلاث أجزاء:

❖ **تقديم البحث وتوصيف طبيعته:** وتتضمن معلومات أساسية عن صاحب البحث، المؤسسة التي ينتمي إليها، طبيعة موضوع البحث وأهميته، مع تحفيز المبحوث على الإجابة عن الأسئلة الواردة ووعده بأنَّ المعلومات التي سيدلي بها ستبقى سرًا ولا تُستخدم إلَّا لأغراض علمية، وغالبًا ما تكون هذه المعلومات في الصفحة الأولى من الاستمارة.

❖ **إرشادات أساسية:** وهي بعض الإرشادات التي يطرحها الباحث على المبحوث عند ملئه للاستمارة، من قبيل ضع علامة (×) أمام الخيار الذي تراه مناسبًا، أو ترك وسيلة تواصل للاستفسار، في حالةِ ما وجد المبحوث وهو بعيد ضرورة للاستفسار عن نقطة أو سؤال معيَّن من قبل الباحث.

❖ متنُ الاستمارة: وهو الجزء المحوري في استمارة الاستبانة، ويتِّم فيه استعراض أسئلة البحث بالطرق والأشكال العلمية المختلفة، كطرح أسئلة مغلقة أو مفتوحة أو المزاوجة بينهما، أو إرفاق الأسئلة بصور ورسومات توضيحية، وهذه الأخيرة في الغالب تستخدم مع الاطفال أو عند التَّحليل النَّفسي.

3.2.2. متطلبات صياغة أسئلة استمارة الاستبانة:

تتطلب صياغة أسئلة استمارة الاستبانة بعضًا من الشروط الأساسية التي ينبغي أن تتوافر لدى الباحث، أهمها:

- صياغة الأسئلة بشكل واضح ومحدَّد بلغة سليمة ومناسبة لمستوى المبحوثين، مع الحرص على تفادي المفردات والألفاظ المبهمة/ غير المفهومة.

- إذا وجد الباحث نفسه مرغمًا على توظيف مفردات أو ألفاظ غامضة، يجب عليه تذليلها وتبسيطها للمبحوث.
- الابتعاد عن الأسئلة الطويلة الجمل والعبارات عند صياغة الأسئلة، وهذا تفاديًا لتشتت فهم المبحوث وضياعه بين الكلمات المُستخدمة.
- البدء بالأسئلة البسيطة السَّهلة التي من شأنها أن تُدخل المبحوث في جو الاستمارة مبكِّرا، ثم التَّدرج بالأسئلة الصعبة، فالأكثر صعوبة.
- استتباعًا للنقطة السَّابقة، يُفضَّل البدء بالأسئلة العامة أولًا، ثم التَّدرج إلى الأسئلة الخاصة والشَّخصية.
- في حالة الأسئلة المتعدِّدة الخيارات، يجب على الباحث وضع كل الخيارات الممكنة الإجابة أمام المبحوث، وإذا كانت بعض الأسئلة تتطلب خيارات عديدة يصعب حصرها، فيتم ذكر أهمها وترك بُند أو خيار مفتوح لاحتمالية إجابة المبحوث بخيار أخر، قد لا يرِد في ذهن الباحث أصلًا.
- الابتعاد عن الأسئلة الإيحائية التي تقود المبحوث إلى خيار ما، بالإضافة إلى تجنب الأسئلة المركَّبة التي تستفسر عن موضوعين أو فكرتين أو مسألتين مختلفتين في سؤالٍ واحد.
- مراعاة ترتيب أسئلة الاستبانة في حالة ما إذا كانت الاستمارة تغطِّي أكثر من موضوع فرعي، فمثلًا لا يعقل أن نطرح سؤالًا في موضوع معيَّن ثم نلحقه بأسئلة في موضوع أخر، ثم نعود إلى سؤال في الموضوع الأول، ونتبعه بأسئلة من الموضوع الثاني... فهذا من شأنه أن يُشتِّت ذهن المبحوث ويؤثِّر على طبيعة البيانات المحصَّل عليها.

لا بدّ من التّنويه إلى أنّ هنالك من الباحثين من اعتبر أنّ أدوات القياس "**ليست محايدة**"؛ حيث أكّد بعض علماء الاجتماع مثل Bourdieu, Chamboredon, Passeron أنّ حيادها خاطئ؛ فمن الممكن ألّا تعبّر عن "الواقع الأمبريقي"، بل تعبّر عن تصورها لهذا الواقع (أي كيف يرى الباحث هذا الواقع ويفهمه أو يريد فهمه)؛ فإذا كان البعض يعدّ الاستبانة أو عملية سبر الآراء تقنية محايدة، فإنّ البعض الأخر يرى عكس ذلك. (لعياضي، 2016، صفحة 108)

إنّ هذا النّقد الموجّه للاستبانة كأداة بحث في مجال العلوم الاجتماعية والانسانية، يرتكز على محورين اثنين، وهما: الاعتماد على عيّنة لا تمثّل مجتمع البحث ولا تعكس عدم تجانسه، وكذا طبيعة

الأسئلة التي تتضمنها، والتي يمكن نقدها لكونها موجّهة أو لاستبعادها لبعض الأسئلة – الاستبعاد الذي يصعب تصنيفه ضمن خانة السهو أو النّسيان –، إذا أنّ بعضها ينتمي إلى خانة المسكوت عنه أو غير المفكّر فيه. (لعياضي، 2016، الصفحات 108 – 109) وهذا الطرح يبرز في الموضوعات الاجتماعية ذات مسمى "الطّابوهات" أو الظّواهر الحسّاسة مجتمعيًا، أين يتفادى الباحث عرض أسئلة بعينها وتوجيه أخرى وإقصاء أخرى خوفًا من ردود الأفعال، أو احتكامًا للمعايير والمرجعية الاجتماعية والثقافية السّائدة.

3.2. المقابلة العلمية المقنَّنة:

1.3.2. مفهوم المقابلة العلمية المقنَّنة:

نشير في البداية إلى أنّ للمقابلة العلمية أشكال وأنواع، ولأنّنا نتحدث في هذه المحاضرات عن المقاربتين الكمية والكيفية سنركّز أساسًا على المقابلة ذات الطابع الكمي كما سنعرضها بعد حين، والمقابلة العلمية المعمّقة ذات الطّالع النّوعي التي سنتناولها بالنقاش أيضًا عند الحديث على تقنيات البحث الكيفي – لاحقًا –.

والمقابلة العلمية بشكل مبسّط هي تلك الأداة التي تُحدَّد وتضبط أسئلتها سلفًا من طرف الباحث، أي أنَّ الأسئلة المحضَّرة تطرح بالشكل نفسه على جميع المبحوثين وفي الغالب بالتَّسلسل المخطَّط له نفسه، أين يكون الباحث مسطَّر قائمة من الأسئلة والموضوعات التي ستتم مناقشتها، حيث يعمل على محاولة التَّقيد بها، مع أنَّ هذا الأمر لا يمنع من طرح سؤال توليدي معيّن غير مخطط لها، إذا ما اقتضت الحاجة و رأى الباحث ضرورة لذلك.

في هذا الصَّدد قد تكون الأسئلة المطروحة في هذ النَّوع من المقابلات العلمية ذات متغيرات أو إجابات محدَّدة، حيث يطرح الباحث على المبحوث أسئلةً مغلقة أو يحاصره – إن جاز التَّعبير – بالخيارات التي يرغب في اختيارها، أو قد تصاغ أسئلته مثلًا بشكل مفتوح، حتَّى يتيح للمبحوث فرصة الإدلاء عن اتجاهاته أو مواقفه أو أراه بالمفردات والعبارات التي يراها مناسبة على أسئلته، ويمتاز هذا النَّوع من المقابلات بسرعة إجرائها وبسهولة إدارتها وتصنيف إجاباتها عند التَّحليل.

2.3.2. مزايا المقابلة العلمية المقنَّنة:

للمقابلة العلمية المقنّنة أو المنظّمة العديد من المزايا والإيجابيات سواء للباحث أو المبحوث، أهمها:

- تعطي للباحث هامشًا زمنيًا واسعًا لتحضير وضبط أسئلته، باعتبار أنّها مقابلة تركز على محاور كبرى يتم ضبطها مسبقًا هي وأسئلتها، تبعًا للأهداف المتوخاة.
- تجعل الباحث أثناء إجراء المقابلة داريًا بطبيعة مايقوم به ومسيطرًا على جو ومسار مقابلته، والأخذ بها نحو الجهة التي يريدها من منطلق الإطار الذي رسمه من الأول.
- لا تأخذ هامشًا زمنيًا واسعًا لا من وقت الباحث ولا من وقت المبحوث، قياسًا بالمقابلات المعمّقة التي تأخذ وقتًا طويلًا يصل أحيانًا لساعات ويمتج، بل قد يتطلّب أحيانًا جلسات متكرّرة تبعًا للموضوع المبحوث فيه.
- تمنح فرصة للمبحوث بالإجابة بطلاقة وحرية على الأسئلة قياسًا باستمارة الاستبيان المحددة بهامش إجابات واضح، خصوصًا إذا وفّر الباحث الجو المناسب أثناء إدارته للمقابلة.
- تمنح المقابلة بشكل عام وفي كثير من المرّات الفرصة للباحث استنطاق بعض الاجابات والمعطيات غير المتوقعة والمحضر لها، مع أنّها أنّ هذه الميزة تبرز أكثر مع المقابلات المعمّقة – نشير لها لاحقًا –.

حوصلة:

بشكل عام فإنّ أدوات المقاربة الكمّية تشتغل أساسًا على توفير بيانات رقمية عددية إحصائية جاهزة، وهي أدوات قياسية محضة تهدف إلى تكميم الظّاهرة واختزالها في أرقام واضحة قابلة للقراءة والتّفسير بطريقة التّعبير الكمّي الرّياضياتي، من باب أنّ هذه المقاربة تركّز أساسًا على تحديد ووصف طبيعة العلاقة الممكنة بين المتغيّرات داخل الظّاهرة الواحدة أو بين الظّواهر المختلفة.

المحاضرة رقم 10 | بين المقاربة الكمية والكيفية؛ الأدوات والتقنيات
"تقنيات المقاربة الكيفية"

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة العاشرة إلى تحقيق الأهداف الجزئية الخمسة الموالية:

1. التّعرف على خصوصية تقنيات البحث الكيفي؛ ذات أساليب المتعدّدة والرؤية الواحدة.
2. مراجعة مفهوم "الملاحظة العلمية بالمشاركة" كتقنية كيفية، عمليات إجرائها ومتطلبات تنفيذها.
3. التّعرف عل خصوصية "المقابلة العملية المعمّقة" كتقنية كيفية، خصوصيتها عن المقابلة العادية وكذا تصميمها.
4. التّعرف على تقنية "تحليل المضمون الكيفي" ومزايا استخدامها.
5. مراجعة تقنية "المجموعات البؤرية" كتقنية بحث نوعي مهجورة في بحوث الإعلام والاتصال، من خلال عرض مفهومها، مزايا استخدامها، حالات عد م استخدامها، و الفوارق الحاصلة بينها وبين تقنية المقابلة المعمّقة:

تمهيد:

كما سبق الإشارة إليه فإنّ عملية جمع البيانات في المقاربة الكمّية تتركّز على استخدام أدوات مختلفة، أهمها "الاستبانة العلمية" التي تعد مسبقًا بضبط وصياغة مجموعة من الأسئلة المحكمة والمحضّر لها بعناية عند تحرير استمارة الاستبيان. بالإضافة إلى "المقابلات العلمية المقنّنة" والمحدّدة أيضًا بأسئلة واضحة الإجابة وكذا "الملاحظة العلمية ذات الطّابع الكمّي المنظّم".. وفي كل هذه الأدوات لا يتاح هامشًا كافيًا للمناورة من جانب الباحث على عكس ما يُتاح للباحث في المقاربة الكيفية. –كما سيتم مناقشته في هذه المحاضرة–.

وإذا كانت المقاربة الكمّية ترتكز على أداة "استمارة الاستبانة" وتمنح كذلك للباحث فرصة استخدام المقابلة والملاحظة – شريطة بناء محكم ومسبق –، فإنّ المقاربة الكيفية ترتكز أساسًا على الملاحظة العلمية بالمشاركة – بطريقة واعية – غير مبنية على التّخطيط المسبق والنّهائي، بالإضافة إلى المقابلة العلمية المعمّقة وغير النّمطية والتي تتجاوز تقليدية: "سؤال – جواب"، وكذا تقنية "تحليل المحتوى الكيفي" التي تهتم بتحليل الرموز والكشف عمّا وراء المعنى الظّاهر، بالإضافة إلى تقنية "الجماعات البؤرية" التي تخلق نقاشا مفتوحًا ومستفيضًا حول قضية أو مشكلة ما.

1. تقنيات البحث الكيفي؛ أساليب متعدّدة.. رؤية واحدة:

إنّ البحث النّوعي وطالما أنّه يتجاوز النّظر للموضوعات والظّواهر على أنّها منتهية وكاملة ومطلقة، فهو يتضمّن استخدام البيانات النّوعية، مثل المقابلات والوثائق وبيانات ملاحظة المشاركين وانطباعات البحث وردود أفعالهم لفهم وتفسير الظواهر الاجتماعية. (A. Jabar, Sidi, Mohd Hasan, Abdul ghani, & Ibrahim, 2009, p. 48) فأساليب البحث الكيفي أو النّوعي تشمل البيانات غير العددية، ومن أهم مصادر هذه البيانات نجد:

- المقابلات العلمية.
- مجموعات التّركيز، أو ما يعرف بالمجموعات البؤرية.
- الوثائق.
- الحسابات الشّخصية.
- السجلّات الثقافية.

- الملاحظة العلمية. (Grand Canyon University, 2023)

ويستعرض معنا Saul McLead مجموعة من النّماذج التي تعبّر عن طرق استخدام الأدوات البحثية في المنهجي الكيفي:

- **نصوص المقابلات العلمية:** مثلًا سجلات حرفية محرّرة لما قاله المشاركون خلال مقابلة أو مجموعة تركيز معيّنة. حيث تسمح للباحثين بتحديد المواضيع والأنماط المشتركة وكذا استخلاص النّتائج بناءً على البيانات. يمكن أن تكون هذه النّصوص مفيدة أيضًا في توفير اقتباسات وأمثلة مباشرة لدعم وتأثيث نتائج البحث.
- **الملاحظات العلمية:** حيث يقوم الباحث الكيفي عادة بتسجيل وتدوين ملاحظات تفصيلية عن ما يلاحظه، بما في ذلك المعلومات السّياقية "اللّحظية"، إشارات غير لفظية أو تفاصيل أخرى ذات صلة. ويمكن لتحليل بيانات هذه الملاحظة أن توفّر رؤى حول الظواهر الاجتماعية، كالسلوك البشري والتّفاعلات الاجتماعية والممارسات الثقافية المختلفة.
- **المقابلات غير المنظمة:** ويتم ذلك بتوليد بيانات نوعية "فهمية" من خلال استخدام الأسئلة المفتوحة. حيث يسمح هذا للشّخص المُقابل بالتحدث بعمق واختيار كلماته الخاصّة. وهذا من شأنه أن يُساعد الباحث في تطوير وتعميق إحساس حقيقي عن فهم الشخص المعني للموقف.
- **المذكرات أو اليوميات:** مثل الرّوايات مكتوبة للتجارب الشخصية أو التّأملات، الخواطر، السّير الذّاتية... وغيرها. (McLead, 2023)

ويضيف "مصطفى كامل" أسلوبين اثنين:

- **الإثنوغرافيا (Ethnography):** من خلال المشاركة في مجتمع أو منظّمة لفترة طويلة من الزمن قصد رصد ومراقبة الثقافة والسلوك عن كثب.
- **مراجعة الأدب:** من خلال مسح شامل للأعمال المنشورة لمؤلفين آخرين. وهو أسلوب على ارتباط بالنّموذج السّابق (الأخير) الذي عرضه McLead. (Kamal, 2017)

بشكل عام، وعند الحديث عن تقنيات "البحث الكيفي"، يستفيض **شيّا** في ثلاث تقنيات رئيسية عند جمع المعطيات، ويقدّمها على النّحو الآتي:

- **الملاحظة:** والتي تتدرّج من ملاحظة عفوية عارضة إلى ملاحظة قصدية، أين يكون الباحث مجهّزًا بأدوات ضرورية لتسجيل ما يمكن ملاحظته، مثل القلم، note book، تقنيات التّسجيل الحديثة... حيث يتاح أيضًا إمكانية تسجيل الملاحظة مباشرة بوجود مسافة ما، ويشارك الباحث المبحوث لتكون ملاحظة مع إنغماسية في العملية البحثية، تمامًا كما هو الحال في البحوث الأنثروبولوجية والسيكولوجية.
- **المقابلة:** والتي سبق الإشارة إليها، في كون أنّها أداة لتجميع بيانات مكثّفة حول القضية أو الموضوع أو الظّاهرة المدروسة.
- **تحليل الوثائق:** والتي قد تكون مادية يمكن ملاحظتها وتسجيلها، أو شفاهية أحيانًا، بقايا، لُقى أو بيانات وسجلّات من مل نوع، وتعد الوثائق مصدر مهم جدًا للمعطيات في المنهج الكيفي.

2. أهم تقنيات المنهج الكيفي المستخدمة في البحوث العلمية:

ربطًا بالتقنيات السّابقة واستنادًا إلى واقع الممارسة العلمية في الفضاءات البحثية المختلفة، تتمثّل تقنيات المنهج الكيفي الشّائعة في:

1.2. الملاحظة العلمية بالمشاركة| ويمكن هنا إثارة المسائل الآتية:

1.1.2. مفهوم الملاحظة العلمية بالمشاركة وبداية استخدامها:

يعرّف بيكر وجير Becker & Geer الملاحظة بالمشاركة بأنّها إما نشاط سري أو علني "يشارك فيه الملاحظ في الحياة اليومية للأشخاص قيد الدراسة بملاحظة الأشياء التي تحدث، والاستماع إلى ما يقال، واستجواب الأشخاص، على مدى فترة زمنية معينة". (Kumar, 2023, p. 02)

وتتطلب **الملاحظة بالمشاركة** الاندماج في مجال حياة الأشخاص موضع الدِّراسة مع الأخذ بعين الاعتبار عدم تغيير أي شيء في الوضع، ويعتبر الأنثروبولوجيين هم أول من مارس الملاحظة بالمشاركة من خلال عيشهم في وسط المجموعات البشرية بغية دراستها عن بعد، أما علماء الاجتماع فيستعملون هذه الطريقة للتقصي أثناء دراستهم للمسارات الفردية ضمن أوضاع معينة. وإذا لم يكن من

الضروري عيش الباحث وسط الأشخاص محل الدِّراسة أو على الأقل البقاء معهم لمدة كافية كي يشاركهم حياتهم اليومية كي يُلاحظهم، فيمكن له أن يكتفي **بالملاحظة دون مشاركة**؛ فإذا كنَّا نريد أن ندرس أعضاء جمعية خيرية ما، فمن الممكن أن نكتفي بملاحظتهم من الخارج وعن قرب، أي أثناء الزيارات الخيرية الميدانية التي يقومون بها مثلًا، وهذا حتى تتاح لنا فرصة تسجيل كل صغيرة وكبيرة تمس اتجاهاتهم، مواقفهم، سلوكياتهم... تصرفاهم على الميدان، ونرصد مختلف الأحداث التي تطرأ معهم (في الحالات الاعتيادية أو الاستثنائية)، وهذا كله من أجل تسجيل ما شاهدناه من الخارج، بحيث نحرص على أن لا نكشف بغير هذه الطريقة عن واقع هذه المجموعة – الجمعية الخيرية – وكأننا أعضاء فيها أو أنَّنا نعيش باستمرار وسطها. (بن الصغير ي.، 2023، صفحة 61)

لا بد من التَّأكيد أن **الملاحظة بالمشاركة** أعمق من **الملاحظة دون مشاركة**، لأنَّها لا تهدف فقط إلى تصوير وتقديم عناصر عن الوضع تحت الملاحظة، وإنما ترمي إلى استخراج المعنى الذي يمنحه لها الفاعلين الاجتماعيين، فبغض النَّظر على أنَّ الملاحظة بالمشاركة تسمح برسم الصورة الشاملة عن الجمعية الخيرية، فإنَّها تمنح كذلك فرصة التَّعرف عن كيفية إدراك أعضاء الجمعية لهذا الوضع أو لطبيعة عملهم، كيف يتفاعلون مع العالم الخارجي، ما هو المعنى الذي تأخذه حياتهم من خلال انتمائهم إلى النَّشاط الخيري بشكل عام، وهذه الجمعية بشكل خاص، وبعض المعطيات الأخرى ذات الطابع التأويلي/ الفهمي. (بن الصغير ي.، 2023، صفحة 62)

ويُدين مجتمع الباحثون للأنثروبولوجي مالينوفيسكي الذي أرسى فكرة هذه التقنية "، إذ يظهر من خلال هذه التقنية أن الباحث يُمارس وظيفتين مختلفتين، أمّا الأولى فتتمثل في المشاركة، فيما الثانية تتجسّد في الملاحظة"، ويرى محمد عبده محجوب أنّها " أسلوب رئيسي في البحث الأنثروبولوجي يقوم من خلاله الباحثون الأنثروبولوجيون بدمج أنفسهم في حياة ثقافة معيّنة ليخبرونها من الداخل." وعليه، فخصوصية **الملاحظة بالمعايشة** تعتمد أساسًا على العنصر الفيزيقي والبيئي لاحتكاك الباحث مع بيئة المبحوثين؛ فهو يستهدف مقاسمة سلوكياتهم وتصرفاتهم وتجاربهم ومشاركتهم جميع الأنشطة دون إشعارهم أو تحسيسهم حتّى أو إثارة اهتمامهم. (رحيمة بن الصغير، 2019/ 2020)

وكان أوكونور O' Connor (2000) قد وصف هذا النّوع من الملاحظة بأنّه "عملية الانغماس في دراسة أشخاص لا تذنختلف عنهم كثيرًا". ما يعني أن دور الباحث في الملاحظة

بالمشاركة أو التشاركية يميل إلى أن يكون سلبيًا أكثر؛ حيث أن الباحث لن يتفاعل قصدًا مع مجموعة البحث المستهدفة بقصد اكتساب سلوكيات المجموعة أو تشكيلها على وجه التّحديد. ومع ذلك فإن عملية الملاحظة السلبية هذه، لا تشير على أساسًا إلى أن الباحث ليس نشطًا جسديًا داخل المجموعة نفسها، فملاحظة المشاركين تتم دائمًا وتقريبًا بشكل سري، أين لا يكشف الباحث أبدًا عن غرضه الحقيقي أو هويته. (Uwamusi & Ajisebiyawo, 2023, p. 21)

2.1.2. عمليات إجراء الملاحظة بالمشاركة:

إن الملاحظة بالمشاركة شأنها شأن باقي التقنيات البحثية المستخدمة في البحث العلمي لها جملة من الأشكال والأنماط لإجرائها، وكان كل من فيرنر وشوبفل Werner & Schoepfle قد نقلا عن أنجروسينو ودي بيريز Angrosino & DePerez على أشكال إجراء الملاحظات، في ثلاثة عمليات:

1. الأول هو **الملاحظة الوصفية** التي يُلاحظ فيها المرء أي شيء وكل شيء، من منطلق أنّه لا يعرف شيئًا. ومن عيوب هذا النّوع أنه قد يؤدي إلى جمع تفاصيل قد لا تكون بالضّرورة ذات صلة بموضوع الدراسة.
2. النوع الثاني، وهو **الملاحظة المركّزة**؛ أين يركّز الباحث على الملاحظة المدعومة بالمقابلات، حيث توجّه رؤى المشاركين قرارات الباحث بشأن ما يجب ملاحظته. بمعنى أنّ الباحث في هذه الحالة لا يكتفي بما يراه، بل بما يجب أن يستمع إليه.
3. أما النوع الثالث من الملاحظة، الذي اعتبره أنغروسينو وديبيريز Angrosino & DePerez الأكثر منهجية فهو **الملاحظة الانتقائية**، وفيها يركّز الباحث على أنماط مختلفة من الأنشطة، للمساعدة في تحديد الاختلافات في تلك الأنشطة. (Uwamusi & Ajisebiyawo, 2023, pp. 26 – 27)

3.1.2. خصوصية إجراء الملاحظة بالمشاركة وتنفيذها:

إنّ إجراء الملاحظة بالمشاركة ليس بالأمر السّهل إطلاقًا كما يعتقد البعض، فمن بين أبرز التحديات الرئيسية في البحث القائم على الملاحظة كما تقر سيسيلسكا Ciesielska وزملاؤها هو "تسجيل ما تم فعلًا ملاحظته". فمن جهة قد يقوم الباحث بجمع الكثير من البيانات أثناء ملاحظة تفاعل بين ممرض مع مريض على سبيل المثال، لكن من جهة أخرى قد يفوته الكثير مما يجري من

خلال محاولة كتابة كل ما يلاحظه في الوقت الحقيقي. حتّى أنّ الانتظار إلى ما بعد الحدث لتسجيل ملاحظاته، قد يوقع الباحث في مطبّة نسيان بعض ما لاحظه، أو أنه يبدأ في تطبيق التفسيرات، ما يعني أنه قد يسجل أشياء وتفاصيل لم تحدث على أرض الواقع. (Ellis, 2024, p. 82)

وعلى هذا الأساس فإنَّه مع الملاحظة بالمشاركة لا يكتفي الباحث بالحقل المرئي (لما يراه)، وإنَّما يستنجد ببعض الوسائل الأخرى لتكملة ملاحظته، كإجراء بعض المقابلات مع المبحوثين وتحليل المادة المكتوبة المتوفرة، وهذا كله بغرض الفهم الأعمق والأوسع للوضع تحت الملاحظة واستخراج المعاني الكامنة، التي تسهم في عمليات التَّحليل المناسبة إزاء إدراك التَّجربة المعيشة لأعضاء هذه الجمعية بهدف فهم البيئة التي يعملون فيها بكل شموليتها. (أنجرس، 2004 صفحة 185)

يُشار هنا إلى أنَّ تقنية الملاحظة العلمية، تعتمد على مهارة الباحث في تسجيل وتحرير كافة التَّفاصيل التي يلاحظها عند الظاهرة التي يقوم بدراستها ويُسجلها في وثيقة "شبكة الملاحظة"، وفي هذا يستطيع أن يستخدم بعض الأدوات والوسائل التي من شأنها أن تساعده في العملية، حتَّى لا يغفل أي ملحوظة قد تكون حاسمة في تحليل بيانات البحث، ومن ذلك يستخدم أجهزة للتَّسجيل الصوتي أو المصورة أو الكاميرا، كما يُمكن له أن يعتمد على فريق بحث يساعده، خصوصًا إذا كانت عملية رصد الظاهرة تأخذ وقتًا وتتطلب جهدًا أكبر في المتابعة والتَّسجيل.

2.2. المقابلة العلمية المعمّقة:

1.2.2.مفهوم المقابلة المعمّقة:

لعلّ أول استخدام للمقابلات في البحوث الاجتماعية كان من طرف تشارلز بوث Charles Booth في دراسته المؤثرة عن الفقر في لندن في ثمانينيات القرن التاسع عشر، أين نشر Booth بوث الجزء الأول من "الحياة والعمل في لندن" life and labour in London‘ والتي كانت في سبعة عشر مجلدًا غطّت في ثلاث سلاسل قضايا "الفقر" و"الصناعة" و"المؤثرات الدينية" في عمله، وكان بوث قد اعتمدعلى منهج جديد لتعريف الفقر من خلال جمعه للبيانات عن طريق المقابلات التي أجراها مع زوار مجالس المدارس (SBVs) في الأحياء المنكوبة بالفقر في الطرف الشرقي من لندن، وقد أجرى زياراته من منزل إلى منزل لجمع معلومات مفصّلة عن مستويات الفقر وأنواع المهن المنتشرة بين الأسر، وتسجيل حضور أطفالهم إلى المدارس، وقد كانت "منهجيتها مختلفة تصورًا وممارسة". (Oulddjaballah, 2023, p. 452)

إنّ المقابلة العلمية وإن كانت أداة تخص كلا المقاربتين، فإنّ طرائق توظيفها مختلفة؛ فالباحث الكمّي ينظر لها على أساس أنّها أداة لتجميع البيانات مباشرةً، وبالتّالي فإنّ الأسئلة المثارة تكون نمطية ومعدّة سلفًا، على عكس الباحث الكيفي الذي ينظر للمقابلة العلمية بطريقة معمّقة وغير نمطية، تكون فيها الفرصة مواتية لتجميع بيانات متعدّدة ومنوّعة تتجاوزالأسئلة التي يطرحها، اعتبارًا لكون المقابلة التي يجريها يمكن أن تخفق في طرح أسئلة مصيرية ذات أهمية بالغة عند عملية جمع البيانات ومن ثمّة فهم الظّاهرة المدروسة.

2.2.2. خصوصية المقابلة المعمّقة عن المقابلات العادية:

يرى الباحثان ويمر ودومينيك Wimmer & Dominick أن المقابلة المعمّقة نوعٌ هجين من المقابلات الشخصية، حيث تسمى أيضاً بـ "المقابلة الشخصية على انفراد"، ويحددان اختلافاتها في عدة جوانب منها: (Oulddjaballah, 2023, p. 454)

- مقارنةً بالمقابلة الشخصية المستخدمة في البحوث الاستقصائية، تستخدم المقابلة المعمّقة عمومًا عينات أصغر حجمًا.
- غالبًا ما تكون المقابلة المعمّقة طويلة وتشغل حيزًا زمنيًا قياسًا بالمقابلة الكمية المستخدمة في بحوث المسح، والتي قد تستغرق بضع دقائق، أين يمكن للمقابلة المعمّقة أن تستغرق عدة ساعات أو تتطلب من الباحث والمشاركين أكثر من جلسة واحدة.
- المقابلة المعمّقة ولأنّها تستغرق وقتًا أطول، فهي تسمح بملاحظة مطولة لاستجابات المستجيبين غير اللفظية، من باب أنّها تتوخى رصد لغة الجسد وترجمة عواطف المقابَلون.
- تمكّن المقابلة المعمّقة الباحثين من أخذ خلفية كافية ومفصّلة عن الأسباب التي من شأنها أن تحفّز المشاركين على تقديم إجابات معيّنة حيال مواقفهم وآرائهم واتجاهاتهم وقيمهم ومشاعرهم الداخلية... وغيرها.
- على عكس المقابلة الكمية التي يطرح فيها الباحث الأسئلة نفسها على جميع مبحوثيه، فإنّ المقابلة المعمّقة تمنح للباحث فرصة بناء الأسئلة وتعديلها وتوليد غيرها أخذًا بإجابات المشاركين. أي أنّه على عكس المقابلة في البحث الكمي التي عادةً ما يتم فيها توجيه وطرح الأسئلة ذاتها على جميع المبحوثين، يعمل الباحث في المقابلة المعمّقة على بناء الأسئلة لكل مشارك من المشاركين بشكل مستقل.

وهناك العديد من الخصائص التي تميز المقابلات المعمّقة والتي تسهم في قوة وجدارة هذه التقنية بحثيًا، حيث يتم إجراء المقابلات المعمّقة بشكل تقليدي على انفراد. أين يسمح هذا الشكل للباحث بالتّركيز على إجابات الشخص المقابَل مع إيلاء اهتمام وثيق للإشارات التي تصاحب إجاباته كالعاطفة، لغة الجسد ومختلف إشارات الاتصال غير اللّفظي المنبثقة من جو المقابلة. لكن مع تطور التكنولوجيا تزايدت المقابلات المعمّقة باستخدام الهاتف أو مكالمات الفيديو... وغيرها من أشكال الاتصال الرقمي، وتسمح هذه الأساليب للمحاور بتوسيع الموقع الجغرافي للأشخاص الذين يمكن إجراء المقابلات معهم، ويمكن أن تكون فعالة مثل المقابلات المباشرة وجهاً لوجه. (Rutledge & Hogg, 2020, p. 02) مع أنّ المقابلة المعمّقة المباشرة ودون وسيط، غالبًا ما كانت الأقدر على تقديم الإجابات غير المصرّح بها من جانب المقابَل بفعل الانكشافية العاطفية ولغة الجسد المرئية.

3.2.2. تصميم المقابلة المعمّقة:

فيما يتعلّق بتصميم المقابلات المعمّقة، فإنّ هنالك العديد من الخطوات الأولية لإجرائها وتنفيذها بالعملية نفسها التي تتبعها الأشكال الأخرى من البحث، كالتّخطيط وتحديد المشاركين وتجنيدهم وضمان المعايير الأخلاقية، توجيه محاور المقابلة... وغيرها، وبمجرد اتخاذ قرار إجراء المقابلات المعمّقة كطريقة مناسبة، فإن الخطوة الأولى هي تحديد أفضل نهج وتطوير بروتوكول المقابلة. وهناك ثلاثة هياكل أو أشكال تصميمية شائعة للمقابلات وهي:

أ- المقابلات التّحاورية غير الرسمية التي تتدفق بشكل طبيعي؛

ب- المقابلات الموجّهة مع سبر معمّق على أن يتحكم القائم بالمقابلة في اتجاه المقابلة وتحقيق هدفها؛

ت- المقابلات المفتوحة، وفيها يتم طرح نفس الأسئلة الموضوعة بعناية على كل مشارك. (Rutledge & Hogg, 2020, p. 04)

وغالبًا ما يكون مسار المقابلة غير محدَّد بأسئلة معدَّة سلفًا "الهيكل أو الشكل الأول"؛ حيث يطرح الباحث سؤالًا عامًّا حول موضوع البحث أو الظاهرة محل البحث، ومن خلال تدفق إجابات المبحوث تتسرب وتتولَّد الأسئلة تباعًا، بمعنى أنَّ ردود المبحوث واسترساليته تسهم بدور كبير في منحى الأسئلة البحثية التي يطرحها الباحث. ولهذا فإنَّ الموضوع يُناقش في ضوء أسئلة وأجوبة

مختلفة من مقابلة إلى أخرى ومن مبحوث إلى أخر، مع أنَّ هذا لا يمنع الباحث من أن يتحكم في الإطار العام والأسئلة المحورية التي تدور في فلكها أسئلة البحث.

وفي واقع البحث الميداني لا توجد مقابلة غير منظمة بالمطلق، حيث أن جميعها مستوحاة من سؤال البحث. ومع ذلك يختلف مقدار الهيكلية باختلاف المنهج. في هذا الصّدد يقرّ جراي Gray (2013) أن هناك فرقًا بين المحادثة "المضبوطة" التي يتم توجيهها باستمرار ولكن بمهارة نحو موضوع البحث وهدفه، والمقابلات غير الموجهة التي لا تحتوي على أسئلة مخططة مسبقًا، ويمكن أن تبتعد عن جوهر القضية الرئيسية، ولكن يتم إعادة التركيز عليها خلال سير المقابلة. (Rutledge & Hogg, 2020, p. 04)

عمومًا، يمتاز هذا النَّوع من المقابلات (المعمّقة) بغزارة المعلومات التي يوفِّرها، مع أنَّه يؤخذ عليه صعوبة تحليل البيانات المحصَّل عليها، فضلًا عن صعوبة إدارة المقابلة في حالة ما إذا كان المبحوث كثير الكلام ويخرج عن نص الموضوع المثار.. لكن في النّهاية لا ينظر لهذا المأخذ كعائق، بقدر ما ينظر له كتحدي، على اعتبار أنّ المقابلة هنا "معمّقة".

3.2. تحليل المضمون الكيفي:

1.3.2. مفهوم تحليل المضمون الكيفي وبداياته:

يُشار في بداية تناول هذه التقنية البحثية إلى أنّ هنالك بعض الباحثين من يعتبرون "تحليل المضمون" منهج بحث وليس تقنية بحث، وبعيدًا عن هذا التّضارب التّصنيفي، فإنّ ما يهمنا هنا هو فهم طبيعة ومتطلّبات هذه التقنية التي تصنّف ضمن تقنيات المنهج الكيفي، طالما أنّ الباحث يظل بحاجة لها، في وقتٍ تعتبر فيه أسلوب علمي فعّال للحصول على المعطيات والبيانات العلمية المختلفة.

ويرجع الفضل في ظهور هذه التقنية إلى لازويل عام 1930 بمدرسة الصحافة بكولومبيا في أمريكا، وهي تقنية بحث "للوصف الموضوعي المنظَّم والكيفي لمضمون تظهر اتصالاته قصد تأويلها" ويعرِّف بيرنارد بيرلسون في كتابه "تحليل المضمون في بحوث الاتصال" عام 1952 تحليل المضمون على أنَّه "أسلوب بحث يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظَّم والكمِّي للمحتوى الظاهر للاتصال". (رحيمة بن الصغير، 2019/ 2020) مع أنّ هذا التّعريف الأخير ينحو إلى الاتجاه الكمّي أكثر.

وتعتبر تقنية تحليل المضمون عبارة عن أسلوب بحثي يسهم في انتاج معلومات رياضياتية رقمية، يمكن تطبيقها في تحليل إجابات المبحوثين عن أسئلة ذات النهاية الممتدة والمستخدمة في البحوث المسحية، ويتم تصنيف هذه التقنية ضمن تقنيات البحث الكيفي التأويلي، لأنّ الباحث يحتاج إلى استحضار ثقافته ورؤيته الشّخصية أحيانًا وشخصيته وتجاربه السّابقة، أثناء عملية التّحليل.

2.3.2. خصوصية تحليل المضمون الكيفي في التّصميم:

بحسب Krippendorff Klaus فإنّ تحليل المحتوى الكيفي يختلف عن تحليل المحتوى الكمي؛ **فتحليل لمحتوى الكيفي** يتضمن قراءة دقيقة للنّص مع إعادة ترتيب أجزائه ذات الصّلة ضمن فئات تحليلية واضحة، مع وضع تصورات وتفسيرات علمية ترتبط بمعاني واستخدامات النّص الذي تم تحليله. ومن أجل إثبات ذلك الارتباط، يفضل الباحثون الذي يستخدمون هذا النّوع من التحليل الاسترشاد بالنّص الذي يتم تحليله والاقتباس منه لدعم الاستنتاجات المتوصّل إليها. (بن بوزيان، 2022، الصفحات 597 – 598)

ويبدأ تحليل المحتوى الكيفي في العمل انطلاقًا من النقطة التي تصل فيها الدراسة التي تعتمد على الجانب الإحصائي إلى نهايتها. من منطق أن التحليل الكمي الإحصائي لم يعد قادرا على تقديم المزيد من الفهم أو التفسير للظاهرة موضع الدراسة. ليظهر هنا **دور تحليل المحتوى الكيفي** الذي يستهدف الكشف عن المميزات النّصية الكامنة أو الباطنة في المحتوى الظاهر، أو الكشف عن المميزات النّصية التي لها نتائج تتجاوز معناها الأولي. بل ويذهب تحليل المحتوى الكيفي إلى أبعد من فهم معاني النّص في حد ذاته إلى فهم الواقع الاجتماعي. (بن بوزيان، 2022، صفحة 598)

ويعتبر تحليل المضمون التقنية الأكثر حصرًا وتمثيلًا للمجتمع والتي تهتم بالموضوع والمضمون عكس التّحليل الكمّي، كما تهتم بتحليل الرموز والكشف عمَّا وراء المعنى الظاهر، وفي الغالب يكون التَّحليل معقّدًا ويحتاج إلى معرفة بنيات مختلفة، ومن بين الأسئلة الكلامية التي تطرح عادةً في تحليل المحتوى نجد: من تكلَّم؟ ماذا قال؟ لمن؟ ما هي الوسيلة؟ لماذا؟ متى؟ أو ما المناسبة؟ (رحيمة بن الصغير، 2019/ 2020)

كما أن تقنية تحليل المضمون أيضًا، تعتبر أسلوب بحثي يسهم في إنتاج معلومات رياضياتية رقمية أيضًا، يمكن تطبيقها في تحليل إجابات المبحوثين عن أسئلة ذات النهاية الممتدة والمستخدمة

في البحوث المسحية، ويتم تصنيف هذه التقنية ضمن تقنيات البحث الكيفي التأويلي، لأنّ الباحث يحتاج إلى استحضار ثقافته ورؤيته الشّخصية أحيانًا وشخصيته وتجاربه السّابقة، أثناء عملية التّحليل.

3.3.2. مزايا استخدام تقنية تحليل المضمون الكيفي: لتحليل المضمون العديد من المزايا والإيجابيات كتقنية بحثية نوعية، نذكر أهمها:

- تحليل المضمون الكيفي يعد من أبرز التقنيات الأقل تكلفة على الباحث، قياسًا بأدوات بحثية أخرى.
- تحليل المضمون الكيفي تقنية تُظهر بشكل كبير وعي ومهارة الباحث في إنجاز البحث؛ ذلك أنّه يعتمد على تجاربه البحثية السابقة ومخزونه الفكري ورؤيته الذكية في تجميع البيانات وتحليلها وتأويلها.
- اعتبارًا لكون الباحث لا يحتك ولا يتصل بالمصادر البشرية، فهذا يقلل من احتمالية تحيز أو تدخل ذاتي لهذا المصدر الذي يقدم المعلومات، أي التقليل من إمكانية الوقوع في الأخطاء.
- ليس هنالك فرصة واضحة لتدخل الباحث في المعلومات التي يقوم بتحليلها.
- إمكانية تكرار التحليل؛ فتحليل المحتوى الكيفي يمكن أن يتم مرّة ومرّتين وأكثر، ومقارنة التحليل الأول مع الثاني والثاني مع الثالث للظاهرة نفسها، أو مقارنة النتائج فيما بينها، إذا وجد الباحث ضرورة لذلك، وحاجة للقيام بتحليل يُقرّب أكثر من فهم الحقيقة المستهدفة.

4.2. المجموعات البؤرية:

1.4.2. مفهوم تقنية المجموعات البؤرية:

المجموعات البؤرية أو ما يعرف بالمجموعات المركّزة هي عبارة عن تلك المحادثة الواحدة أو المحادثات المتكرّرة مع مجموعة من الأشخاص الذين يجمعهم الباحث للمناقشة. بحضور شخص مراقب في الغالب، وذلك بهدف اكتساب المعرفة حول النّتائج المختلفة للتدخلات في مجالات مختلفة، ويدير الباحثون المدرّبون المناقشات باستخدام سلسلة من الأسئلة غير المنظمة و/أو المنظمة لتقوم المجموعة المعنية بالتّعليق عليها. (MANZANO)

وتعرف المجموعات البؤرية وفقًا لموسوعة مناهج البحث الكيفي على أنّها شكل من أشكال المقابلات العلمية الكيفية، والتي يديرها الباحث لمناقشة الجماعة المعنية، بغرض توليد بيانات ذات

طابع نوعي، والحصول على بيانات هامة للبحث الذي ينجزه. والعنصر الأبرز في طريقة المجموعات البؤرية هو استخدام مناقشات المبحوثين "الذين يجرى معهم البحث" كشكل من أشكال جمع البيانات. (مصطفى، 2020، صفحة 166)

وتعد "مجموعات التّركيز من بين التقنيات العلمية المهمة للمقيّمين والباحثين، ففي عام 1987 ناقش ر. ك. ميرتون، الذي غالباً ما يعود إليه الفضل في ميلاد تقنية مجموعات التركيز، عن كيفية "إساءة استخدامه بلا رحمة"، أمّا في أربعينيات القرن الماضي، كان فريقه قد تصوّر مجموعات التّركيز كأدوات لتطوير نظرية متوسطة المدى، ولكن من خلال نجاحها المذهل تحولت مجموعات التركيز إلى خيار لا اعتراض معه في كثير من مناهج التقييم. (Manzano, 2022)

2.4.2. مزايا استخدام تقنية المجموعات البؤرية:

ننقل عن "آلاء محمود حسين أحمد" أهم مزايا تقنية "الجماعات البؤرية" في الآتي:

- يتم إجراءها في شكل جماعة نقاشية.
- تعد الجماعات البؤرية أكثر متعة وأكثر روح للدعابة.
- سماع كل ما يمكن أن يقوله الأعضاء، وهي فرصة لإيجاد القواسم المشتركة بينهم.
- لا تخلق مشكلة تهميش أي فرد، بحيث لا يتم تمييز أحد في الجماعة البؤرية.
- توفّر رؤى وفروقات دقيقة لا يمكن لطرق البحث الأخرى أن تحققه.
- تُساعد على استجلاء المشاعر الكامنة وكذا الدّوافع الحقيقية.
- إعطاء الفرصة لجميع الأعضاء للإدلاء بالمعلومات، والتّعبير عن مشاعر بطريقة مفصّلة والآراء والمواقف المختلفة.
- تعتبر تقنية فعّالة من حيث التكلفة قياسًا بالمقابلات الفردية أو المسح.
- تقدم الجماعات معلومات مركّزة للاهتمام الدّقيق عن الموضوع قيد البحث.
- تمنح فرصة التّنسيق بالدّعائم البصرية أو السّمعية مثل كتيّبات الحملة، مكبّرات الصّوت وشاشات العرض. (محمود حسين أحمد، 2019، صفحة 189)

3.4.2. حالات عدم استخدام تقنية المجموعات البؤرية:

بمقابل المزايا التي توفّرها تقنية "الجماعات البؤرية" والمشار إليه سالفًا، هنالك مجموعة من الحالات التي ينبغي أو لا يفضّل فيها استخدامها، والتي يمكن عرضها في النّقاط الآتية:

- عدم قدرة الباحث التحكم في أطوار المناقشة البؤرية، قصد توسيع أفق موضوع معيّن.
- كبر حجم المجموعة النقاشية أو صغرها وضيفها.
- إختيار مشاركين في الحلقة النقاشية، ممن لا يستطيعون تشجيع بعضهم البعض.حينما نحتاج ونستهدف الوصول إلى بيانات إحصائية في البحث.
- حينما يتعلق الأمر بموضوعات بحثية تتضمّن تفاصيل وأمور لا يستطيع مشاركي الحلقة النقاشية التّحدث فيها.
- أن يخلق الموضوع المُناقش فيه مستويات غير مقبولة من الضغوط.
- عندما يؤدي النّقاش في موضوع البحث إلى انتهاك خصوصية الآخرين أو سل أسرار شخصية أو خطيرة تتعلّق بالمبحوثين المشاركين. (مصطفى، 2020، صفحة 171)

4.4.2. الفوارق الحاصلة بين تقنية المجموعات البؤرية وتقنية المقابلة المعمّقة:

ولأنّ المجموعات البؤرية أو جماعات التّركيز تعتبر تقنية بحثية كيفية تتقاطع وتتشابه كثيرًا مع المقابلة العلمية المعمّقة، فيمكن هنا عرض الاختلافات الحاصلة بين التقنيتين وفقًا لـ Hennik: (مصطفى، 2020، صفحة 186)

المجموعات البؤرية	المقابلات المعمّقة
التّعرف على مختلف الأراء والخبرات من أفراد متعدّدين	التّعرف على وجهات النّظر الفردية
إثارة النّقاش وشرح للقضايا وفهم أشكال التّفاعل الحاصل وكيفية اتخاذ القرارات	التّطرق للخبرات والأراء الشخصية
تحديد عدد من القضايا المستجدة	الحصول على معلومات أكثر عنقًا وتفاصيل عن الموضوع محط الاهتمام
البحث عن معلومات واسعة تتعلّق بالمجتمع، كالبحث عن معلومات حيال السلوك الاجتماعي، القيم الثقافية أو قضايا الرأي العام	معالجة ووصف المعلومات المرتبطة بقضايا ومشكلات كالهجرة، الحياة المختلفة...
أقل استخدامًا للموضوعات الشّخصية والحسّاسة للحفاظ على السّرية	أكثر استخدامًا للموضوعات الشخصية، الحسّاسة والمعقّدة، من باب أنّ المقابلة تُنجز بشكل فردي.

جدول يوضّح أهم الفروقات الحاصلة بين تقنيتي الجماعات البؤرية والمقابلات العلمية المعمّقة.

يُشار في هذا الصّدد إلى أنّ المجموعات البؤرية تعد من بين التقنيات المهجورة في بحوث الإعلام والاتصال وحتّى بحوث ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية.

حوصلة:

يُشار في نهاية الحديث عن الأدوات المستخدمة في الاتجاهين أو المنظورين الكمّي والكيفي، إلى أنّ هذه الأدوات تم طرحها والنّقاش فيها عند تناول محاضرة "المناهج العلمية المستخدمة فيهما"، على اعتبار أنّ الحديث عن الأدوات والتقنيات العلمية هو حديث عن المناهج العلمية أيضًا بمنطق البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

المحاضرة رقم 11 | المزج بين المقاربتين الكمية والكيفية "المناهج المختلطة"

أهداف المحاضرة: نسعى من خلال هذه المحاضرة الحادية عشر إلى تحقيق الأهداف الجزئية الخمسة الموالية:

1. التّعرف على مفهوم المناهج المختلطة.
2. تبيان حاجة البحوث العلمية إلى استخدام المناهج المختلطة.
3. مناقشة فرص المزج بين المقاربتين الكمّية والكيفية أو التّكامل بينهما في بحوث علوم الإعلام والاتصال.
4. كيفية تصميم المناهج المختلطة.
5. التعرف على حدود استخدامات المناهج المختلطة وصعوبة تطبيقها في واقع البحث الميداني.

تمهيد:

في البداية، لا بدّ من الانتباه أنّ مسألة المزج بين الاتجاهين أو المقاربتين الكمّية والكيفية، يمكن أن تظهر بأكثر من مسمّى، مثلًا، التّزاوج المنهجي، التوليفة المنهجية، المناهج المختلطة، البحوث المختلطة أو المتعدّدة، التّكامل المنهجي، البحوث المزجية... وغيرها، وهي تسميات مشابهة ومتقاربة جدًا أريد بها الخلط بين المقاربتين الكمية والكيفية أثناء إنجاز البحوث العلمية.

1. مفهوم المناهج المختلطة: (mixed methods)

يقصد بمنهج البحث المختلط mixed methods research، منهجية لإجراء البحوث التي تقوم على عملية جمع وتحليل ودمج البحوث الكمّية (مثل التّجارب والدّراسات الاستقصائية)، والبحوث النّوعية (مثل مجموعات التّركيز والمقابلات). ويُستخدم هذا المنهج للبحث حسب Creswell حينما يوفّر التّكامل فهمًا أفضل لمشكلة البحث من أي منهج منهما وحده. (السعيد، 2021 صفحة 12) إذن فالمناهج أو البحوث المختلطة هي نتاج للمزج بين الكمّي والكيفي، وذلك لوجود مشكلات تحتاج بحث جوانب كمية ونوعية في الوقت نفسه. (بنت محمد الدخيل، 2003)

ويعد لوسيان كولدمن Lucien Goldmann من أبرز رواد المنهج المختلط، وهو الذي يوفق بين علوم الطبيعة "التفسير" وعلوم الإنسان "الفهم"، ويوفق بين نظرية إيميل دوركايم ومنهجه في التفسير، ونظرية ماكس فيبر ومنهجه في الفهم، ضمن دائرة منهجية واحدة أسماها بـ "البنيوية التكوينية"، حيث يستخدم معها العديد من المفاهيم الإجرائية ذات الصلة بهذه الرؤية. كما يعد أنطوني غيدنز Giddens من أبرز أنصار المنهج المختلط وهو الذي تجاوز ثنائية الذاتية والموضوعية، وثنائية الفهم والتفسير ليحاول التوفيق بينهما. وقد وضع نظرية اجتماعية بنيوية تجمع بين البنية والفاعل. (إبراهيم، 2023، الصفحات 157 – 158)

2. الحاجة إلى توظيف المناهج المختلطة:

لقد بيّن الرصيد الميداني المنجز في البحوث العلمية أن دراسة المشكلات الاجتماعية بالمنهج الكمي لوحده والاتّكال على البعد الخارجي باستخدام أدوات الملاحظة، التجريب والمقارنة... وغيرها، غير كاف بالمجمل للوصول إلى اليقين والحقيقة العلمية، ذلك أنّ الظّاهرة الاجتماعية تتصف بالتّعقيد ولا يمكن بأي حال تفسيرها بسبب واحد، بل بأسباب عديدة ومختلفة. لذلك لا بدّ من الانفتاح الفكري على استخدام المنهج الكيفي أيضًا، في فرصة للفهم ورصد المعاني الممكنة التي يحملها السلوك الاجتماعي وتحديد أهدافه ونواياه. (إبراهيم، 2023، صفحة 158) وكل هذا من أجل تعميق الفهم العلمي، ومحاولة فهم الظّاهرة قيد البحث بكل أبعادها وتجلياتها.

ولذلك تمنحنا البحوث المختلطة فرصة الفهم والتّثبت بأكثر عمق، مع تعويض نقاط الضعف الكاملة عند استخدام منهج معيّن – لوحده – و بحسب Greene فإنّه من بين أهم المزايا التي يوفّرها

إجراء بحوث المناهج المختلطة هو إمكانية "التّثليث"؛ أي استخدام عدة وسائل (طرق ومصادر جمع البيانات) لدراسة الظّاهرة نفسها. حيث أنّ " التّثليث" يسمح للباحث بتحديد جوانب الظّاهرة بشكل أدق وأعمق من خلال الاطلاع على مختلف وجهات النّظر الممكنة حيال الظّاهرة أو المشكلة المدروسة باستخدام أدوات وتقنيات مختلفة. ولنجاح التّثليث يجب التّحليل الدّقيق لـ "طبيعة ونوع المعلومات" التي تقدّمها كل طريقة. إذن البحث المختلط بهذا التّصور هو منهجية تتطلّب جمع وتحليل ودمج البيانات المستخلصة من الأدوات الكمّية والكيفية. (السعيد، 2021 الصفحات 12 – 13)

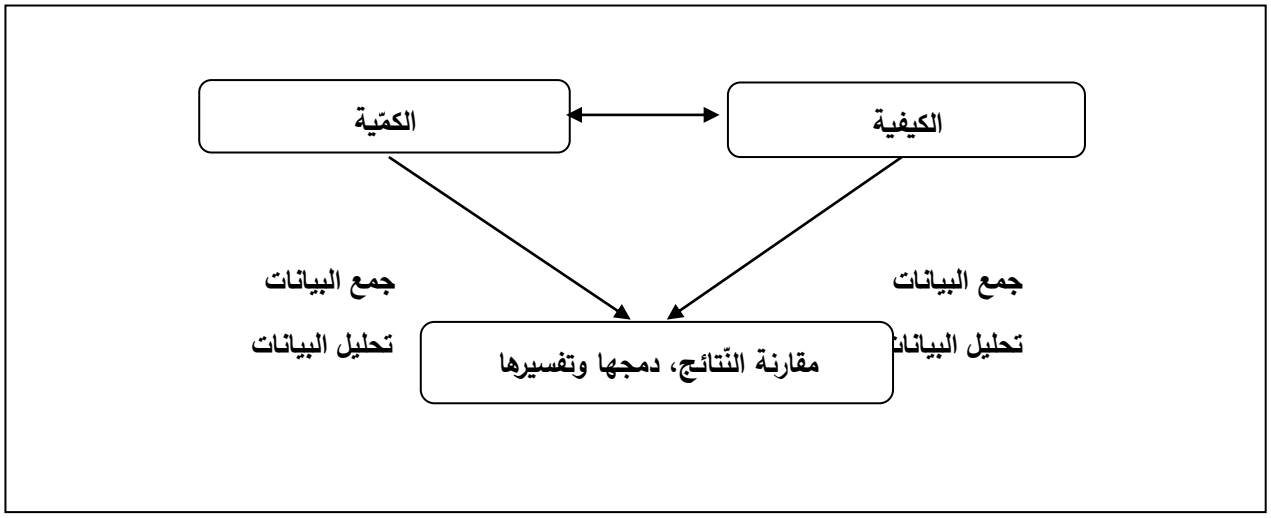

مخطّط (مستل) يوضّح تكامل البيانات الكمية والكيفية (السعيد، 2021 صفحة 13)

إنّ استخدام الأساليب المختلطة هو خيار قوي يلجأ إليه الباحث حينما يستهدف إنتاج وصف وتفسير قوي للبيانات، أو جعل النتائج الكمية أكثر قابلية للفهم، أو فهم قابلية التطبيق الأوسع نطاقًا للنّتائج النوعية ذات العينة الصغيرة. (Sciences, NIH Office of Behavioral and Social, 2018) ما يعني النّظر للمناهج المختلطة كأسلوب لدعم نتائج البحث والاقتراب أكثر من الحقيقة العلمية بكل تمثلاتها وأبعاده، لا كأسلوب للخلط وفقط.

3. فرص المزج بين المقاربتين أو التّكامل بينهما في بحوث علوم الإعلام والاتصال:

انطلاقا من المقال الذي نشره كينيث هاوي Kenneth Howe عام 1988، بعنوان "ضد أطروحة عدم التّوافق بين الكمّي والكيفي أو الموت القاسي للدوغمائية"، أين جادل فيه بأنّه لا يوجد أي اعتراض بين المناهج الكمية والكيفية لا على مستوى الممارسة ولا على مستوى الابيستمولوجيا، لذلك كان في اعتقاده أنّه لا توجد أسباب وجيهة تمنع الباحثين من المضي قدمًا مع "ما يصلح". ومنذ ذلك

الحين دخلت العلوم الانسانية والاجتماعية في مرحلة منهجية جديدة تدور حول "التّزاوج المنهجي". (لونيس، 2022 صفحة 195)

ولذلك تحوّل النّقاش إلى مدى شرعية الجمع بين المنهجين، خاصّة في ظل ما تكشف عنه المرجعيات الإبيستمولوحية لكل منهما عن حقيقة وجود الكثير من الثنائيات المتضادّة و المتناقشة كإشكالية العلاقة بين الذّات العارفة والموضوع، وإشكالية التّعميم من عدمه، وإشكالية وجود حقيقة واحدة أو محدّدة أو متعدّدة أو إشكالية التأويل والتّفسير... وغير ذلك. (لونيس، 2022 صفحة 195)

ويشير الأستاذ دليو إلى أنّه بنفس أهمية التعددية والتّنوع الحاصل بين المقاربتين الكمية والكيفية، فإنّه هنالك أهمية أيضًا للتّنافسية وكذا التكاملية من جهة ثانية، فالاستفادة من ذلك ممكنة بل ومنتجة (إيجابية)،وقد تبناها تيار بحثي ثالث في أغلب التّخصصات الاجتماعية؛ ففي بحوث الاتصال على سبيل المثال، يمكن للمقاربات الكمّية (الإحصائية) لموضوعات بحثية من قبيل العوامل المؤثّرة في التّعرض لوسائل الإعلام آثار التّغطية على السلوك الانتخابي، آثار الأنترنت على التّحصيل الدّراسي... وغيرها، أن تُستكمل بمقاربات كيفية تهتم بـ "التّفاعلات الذّاتية للجمهور أو للطّلبة... مع المحتويات الإعلامية والسياسية... بالتّركيب أو التّقاطع وبالتّوازي أو التّوالي مثلًا؟ استعمال الملاحظة بالمشاركة ثم استعمال نتائجها في بناء استمارة كمّية. (دليو، 2022، الصفحات 38 – 39) فأحيانًا وعلى سبيل المثال يُمكن للبيانات المحصّلة من المقابلة العلمية أن تُساعد في بناء استمارة الاستبانة (تحديد المحاور وضبط الأسئلة).

في هذا المسار قد يستخدم الباحث تقنيات مختلفة في الوقت نفسه أو واحدة تلوى الأخرى (حسب تصور الباحث)، فعلى سبيل المثال قد يبدأ بحثه بإجراء المقابلات العلمية وجها لوجه مع عدة أشخاص أو تنظيم حلقة نقاشية مع مجموعات التركيز، ثم بعدها يستخدم نتائجها في تصميم استمارة استبيان لقياس المواقف مع عيّنة واسعة النّطاق، بهدف إجراء التحليلات الاحصائية لاحقًا. كما لا بد من الإشارة هنا إلى أنّ استخدام نوعين مختلفين من البيانات الكمية والكيفية من شأنه أن يساعد الباحث لاحقًا في تعميم نتائج الدراسة على أكبر عدد ممكن من مجتمع البحث. (إبراهيم، 2023، صفحة 158).

في هذا الصّدد دائمًا تشير كل من ريتلج وهوق Rutledge & Hogg إلى إمكانية تعزيز المقابلات المعمّقة للدراسات الكمية، من خلال إضافة الخبرة الذاتية للمشاركين ودوافعهم التي تمثلها البيانات الكمية. حيث تعرضان مثالًا هنا لاستخدام كل من شتاينفيلد وإليسون ولامبي (2008) للمقابلات المعمّقة لتكملة بيانات المسح في فهم تطور رأس المال الاجتماعي من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي. (Rutledge & Hogg, 2020, p. 03) ما يؤكد على إمكانية مزج النّوعي بالكمّي بحثًا عن فهم أعمق وأدق للموضوع قيد الدّراسة.

ويؤكد فرص التكامل بين المنهجين، كل من سانشيز وميناير (1993) الذين يشيران إلى أنّه "يمكن تحليل العلاقات الاجتماعية في أكثر جوانبها الإيكولوجية والملموسة وتعميقها في أكثر معانيها الأساسية. وبالتالي يمكن للدراسة الكمية أن تولّد مواضيع يمكن تعميقها نوعيًا والعكس صحيح" وبهذا المعنى، ونظراً إلى أن الهدف هو إنتاج المعرفة، فإن الاستخدام التكاملي للمناهج والتقنيات التي ظهرت في كلا المنهجين له ما يبرره. (Jiménez, Torres, Bracho-Fuenmayor, & Alzate, 2024)

4. تصميم المناهج المختلطة| ويُطرح السّؤال هنا: كيف يكون التّصميم (كيفي – كمّي) مشترك؟

يقول "دليو" في كتابه "البحوث الكيفية الأسس والمناهج" أنّه يمكن للبحوث المختلطة أن تتضمن عناصر كيفية بـ "التّتالي أو التّوازي" في آن واحد مع عناصر كميّة، و أنّ هذا الجمع أو المزج يتوجّب تصميمات مختلطة أيضًا، وهنا يعرض يونقل نموذجًا استعرضه Creswell فيه: "مع ملاحظة أنّه تصميم يتّسم بالمرونة والقابلية للتّكييف المرحلي"

- مقدمة: الهدف، التّساؤلات الكمّية والكيفية مع ذكر كيفية الجمع بينهما.
- أدبيات الدّراسة الخاصّة بمناهج البحوث المختلطة.
- المناهج: التّعريف والتّصميم والتّحديات وإجراءات جمع وتحليل البيانات الكمية والكيفية أو العكس، المقارنة أو الجمع والتأويل وإجراءات الصدق والثبات الكمية والكيفية وكتابة التّقرير (تحرير البحث). (دليو، 2022، الصفحات 61 – 62)

إنّ استخدام الباحث للمنهج المختلط باعتباره مقاربة منهجية، يتحقّق من خلال:

- التّركيز على الأسئلة البحثية التي تستدعي فهمًا سياقيًا واقعيًا ومنظورات متعدّدة المستويات وكذا التأثيرات الاجتماعية والثقافية،
- توظيف البحوث الكمية الصارمة التي تقيّم حجم وتواتر البنى، وكذا البحوث النّوعية الصارمة التي تستكشف معنى البنى وفهمها،
- استخدام مصادر وأنواع متعدّدة من البيانات العلمية، مثل البيانات الجغرافية المكانية، المقابلات المعمّقة مع المخبرين، ردود على استبيانات الاستبيان، الرّسائل النصية، وكذا المحتوى المرئي بما يتضمّنه من رموز تعبيرية، صور، فيديوهات ورسومات أخرى،
- دمج أنواع مختلفة من البيانات وتثليثها بطريقة منهجية لزيادة نقاط القوة وموازنة نقاط الضعف في كل نوع من أنواع البيانات،
- تطوير ودمج الأطر المفاهيمية والنظرية في تطوير أسئلة البحث. (Sciences, NIH Office of Behavioral and Social, 2018)

ويُلفت انتباهنا الرفاعي إلى أنّ البحث المختلط يميل إلى أن يكون نوعيًا أكثر منه كمّيًا أو العكس، لأنّه يشتمل على عناصر من المنهجين الكمّي أو الكيفي/ النّوعي، ويكون تأطير التّمييز بين النّوعي والكمّي باستخدام الكلمات والنّصوص "النّوعية" بدلًا ن الأرقام والحسابات "الكمّية"، أو إستخدام الأسئلة المغلقة "الفرضيات الكمّية" بدلًا من الأسئلة المفتوحة "أسئلة المقابلة الكيفية" والطريقة الأنسب هي أن يعرض الباحث تدرج الاختلافات بينهما في الافتراضات الفلفسفية الأساسية في البحث. (الرفاعي، 2024، صفحة 763)

استتباعًا لكل ما سبق النّقاش فيه، فإنّ النّظر إلى المنهجيتين الكمّية والكيفية لم يعد بالإمكان أو على أحسن تقدير لم يعد من السّهل فصلهما عن بعضهما البعض لاعتبارات كثيرة – كما ينقله سعيد لوصيف – أنَّه لم يعد بالإمكان مواجهة المناهج الكمية بالمناهج النَّوعية كمناهج متناقضة انطلاقاً من المعيار الكلاسيكي المرتبط بالمعالجات الإحصائية، بحكم:

1. النَّطور الهائل الذي مسَّ علم الاحصاء في النصف قرن الأخير، الذي سمح باستخدام تطبيقات إحصائية على متغيرات ومعطيات نوعية كالتّحليل العاملي مثلاً.

2. التَّطور الكبير الذي مسَّ التطبيقات المعلوماتية؛ إذ أصبح من الممكن تحليل المعطيات النَّوعية وتكميمها بواسطة برامج وتطبيقات معلوماتية أُعدَّت لهذا الغرض، ومن بينها: TROPES, ATLAS, SPHINX ... وغيرها. (لوصيف، 2016)

وفي هذا نقرأ أنَّ إمكانية «التزاوج المنهجي» – إن صحَّ التَّعبير – منطقي من النّاحية العلمية في فهم الظواهر العلمية وتحليلها، على أن يكون تصميمه حذرًا وواعيًا بخصوصيته وأهدافه الأساسية.

5. إستخدامات المناهج المختلطة وصعوبة التّطبيق:

يعتبر التّفكير المنهجي على حد تعبير سعيد لوصيف "تفكيرًا معقّدًا بامتياز"؛ إذ يحيل إلى ذلك التّفكير النّقدي المبدع – على حد ما ينقله عن إدغار موران Edgar Morin– والذّي يمكّن الباحث من تجاوز عائق الاختزال Réductionnisme، وعائق التّجزئة Parcellarisation، ويمكّنه أيضًا من التّحرر من سطوة "التّخصص الضّيق" كنسق معرفي مغلق ومحدود, ومن هذا المنطلق يؤكد لوصيف على أنّه إذا كان طابع التّعقيد يفرض علينا باستمرار مساءلة الظّواهر الاجتماعية، فإنّه يفرض علينا أكثر وبإلحاح مساءلة "الكيفيات التي نعالج بها الظّواهر والإشكاليات المرتبطة بها". (لوصيف، 2016 الصفحات 43 – 44) أي كيف نبحث؟ قبل السؤال: فيما يجب أن نبحث؟ وبهذا فإنّ عملية البحث ليست بتلك العملية البسيطة – التّقليدية كما يتصورها البعض.

خصوصًا إذا تعلّق الأمر بتوظيف المناهج المختلطة في أبحاث وموضوعات الاتصال التي تتسم بالمرونة العالية وصعوبة التّنفيذ الميداني في بعض الاحيان، إذ أنّ من أبرز المشكلات التي يمكن أن يرصدها الباحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية وحقل الإعلام والاتصال على وجه التّحديد، هو تلك المشكلات المتعلقة بالخلط بين مستلزمات البحوث الكمية والكيفية، وأحيانا ادعاء الجمع بينهما دون وجود شروط ومتطلبات المزج... وهذه المشكلة الأخيرة مرتبطة عادة بما سبق ذكره من أبعاد نفسية مظهرية "تضخمية".

كما أنّ هنالك مشكلات متعلقة بالتكامل البنيوي والوظيفي في تقرير البحث (نص الأطروحة)... بين العنوان، والأهداف/ التساؤلات/ الفرضيات، والإطار النظري (الموجه للبحث في البحوث الكمية خاصة)، ومحاور أدوات جمع البيانات أو فئات التحليل، والنتائج. (دليو، 2022) وفي هذا الجانب يلخّص Beaud Michel البحث في كونه نسيج واحد يرى في ضوئه أنّه لا يوجد بحث

من دون تساؤلات، ولا توجد تساؤلات من دون جهاز تصوري.. من دون ردة فعل نظرية، وبالتّالي من دون معارف جيّدة لمختلف المقاربات الممكنة. (Beaud, 2006, p. 11) على أنّه يمكن ربط هذه المسألة بالنقطة السّابقة وهي الفوضى في توظيف استخدام المقاربتين بطريقة غير واعية.

حوصلة:

استخلاصًا لما سبق، يعد منهج البحث المختلط منهجية علمية لإجراء البحوث التي تقوم على عملية جمع وتحليل ودمج البحوث الكمّية من جهة والبحوث النّوعية من جهة ثانية. إذ يتيح هذا المنهج حينما يوفّر التّكامل فهمًا أفضل لمشكلة البحث من أي منهج منهما وحده. كما أنّ اعتماد الباحثين على المنهج المختلط في البحوث العلمية، هو طريقة للجمع بين التفكير الاستقرائي والاستنباطي "الاستنتاجي"، ومحاولة تجاوز مختلف القيود المحتملة التي تفرضها البحوث الكمية والنّوعية عند استخدامهما بشكل مستقل "لوحدها"، حيث يعتبر بمثابة نهج تكميلي يزيد من نقاط القوة في كل نوع من أنواع البيانات ويسهل فهمًا أكثر شمولاً للمشاكل والحلول المحتملة.

خلاصة المطبوعة

إنّ الاختلافات والفروقات بين المقاربتين الكميّة والكيفية مختلفة ومتنوّعة، الجوهري فيها أنّ المنهج الكمّي هو عبارة عن "بحث تجريبي منهجي" Systematic Empirical Research لظاهرة يُمكن ملاحظتها على نحوٍ ما، وتكميمها بواسطة أدوات إحصائية أو رياضياتية... فيما البحث الكيفي هو التّصميم المناسب لأدوات وتقنيات بحث "غير كمّية وغير رقمية" في مقاربة الظواهر أو الموضوعات الإنسانية والاجتماعية المدروسة. وكما جاء في متن المحاضرات فإنّ مستويات الاختلافات المعرفية متنوعة تتوزّع من حيث المنظور، من حيث المعطيات وآليات فهم الحقائق، من حيث الأهداف ومن حيث طبيعة المعالجة (الذّاتية والموضوعية).

مع نهاية محاضرات مادة "المقاربات الكمّية والكيفية" لا بدّ من التّأكيد على أنّ عملية البحث العلمي عملية منظّمة واعية بالمنطلقات والمسارات وبالنّتائج المراد الوصول إليها.. وهذه العملية تتطلّب معرفة وفهمًا من جانب الباحث لكل إجراءاتها وخطواتها أوّلًا بأول، لذلك فإنّ مسألة التّموقع الابستيمولوجي من جانب الباحث تعد مسألة مصيرية في مسار البحث السّليم، حيث أنّه كلّما كان عارفًا بخصوصية البراديغم الذي يتبناه، كلما كان داريًا بطرائق معالجة وفك الإشكاليات العلمية التي يثيرها، بالإضافة إلى سيطرته على المجتمع البحثي الذي يتوجّب التّعامل معه والعيّنة التي قد يختارها، وكذا المنهج والأدوات المناسبة لتصميم بحثه بالطّريقة السّليمة.

في الأخير، لابدّ من التّنويه إلى أن الهدف المحوري من تدريس هذه المادّة –كما جاء في البطاقة التّوصيفية – هو تحضير الطّالب لإعداد وإنجاز مذكّرة التّخرج بالشّكل العلمي السّليم منهجيًا ونظريًا؛ وذلك بالتّركيز أكثر على البعد العملياتي/ التّطبيقي في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل عام وحقل علوم الإعلام والاتصال بشكل خاص، في محاولة للسّيطرة على سؤالين محوريين بمثابة هاجس حقيقي في مسار البحث "كيف أفكّر؟ وكيف أنجز البحث؟" وهو ما ينبغي أن يتحقّق، خصوصًا وأنّ طالب السّنة الأولى ماستر مقبل بداية من السداسي الثالث على إعداد بحث تخرجه، هذا عدا الاستحقاقات العلمية المقبلة إذا ما وُفّق في إكمال دراساته العليا.

قائمة المصادر والمراجع

أ. قائمة المراجع باللغة العربية والمعرّبة:

1. أحمد بوذراع. (2001). منهج دراسة الحالة في العلوم الاجتماعية والإنسانية. *مجلة الإحياء*(04).
2. آلاء محمود حسين أحمد. (جويلية, 2019). الجماعات البؤرية. (كلية الخدمة الاجتماعية، المحرر) *المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية، 02*(03).
3. أمين ساعاتي. (1991). *تبسيط كتابة البحث العلمي، من الباكلوريوس، إلى الماجستير.. وحتّى الدكتوراه* (الإصدار 01). المملكة العربية السّعودية: المركز السّعودي للدّراسات الاستراتيجية.
4. باديس لونيس. (12, 2022). التّبرير الابستيمولوجي لبحوث المناهج المختلطة. *مجلة الإعلام والمجتمع، 06*(02).
5. بدر ناهي مخلف المطيري. (09, 2020). العالقة بين المنهج الكمي والكيفي مع تعريف لكل منهج ومميزاته وعيوبه واستخداماته. (قسم الدراسات االجتماعية بكلية اآلداب جامعة الملك سعود، المحرر) *مجلة الخدمة الاجتماعية، 66*(01)، 247 – 263.
6. تغريد بنت محمد الدخيل. (2003). *البحوث المختلطة: الأسس ومعايير التميز*. تاريخ الاسترداد 25 04, 2024، من مركز التميز البحثي في تطوير تعليم العلوم والرياضيات: https://ecsme.ksu.edu.sa/sites/ecsme.ksu.edu.sa/files/attach/lbhwth_lmkhtlt_d.tgryd_ldkhyl.pdf
7. جامعة محمد بوضياف – المسيلة (المحرر). (بلا تاريخ). مطبوعة بيداغوجية حول مقارنة بين البحوث الكمية والكيفية. الصفحات 09 – 16.
8. حسين سعد. (19 03, 2011). البراديغمات المسيطرة في علوم الإعلام والاتصال وإشكاليتها المعرفية. *مساهمة في الحلقة البحثية "البراديغمات العلمية" لطلاب الدكتوراه اللبنانية*. لبنان.
9. حياة عيشاوي، و حميد قرليفة. (06, 2018). أهمية المنهج التاريخي يف العلوم الانسانية والاجتماعية. (مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، المحرر) *مجلة روافد للبحوث و الدراسات*(04)، الصفحات 157 – 171. تم الاسترداد من https://asjp.cerist.dz/en/article/169582

10. خيرة مكرتار. (08 03, 2023). إستخدام النتنوغرافيا كمقاربة لدراسة المجتمعات الإفتراضية. *الحوار الثقافي، 03*(11)، الصفحات 03 – 19.

11. ربحي مصطفى عليان، و عثمان محمد غنيم. (2000). *مناهج وأساليب البحث العلمي، النّظرية والتّطبيق* (الإصدار 01). عمان: دار صفاء للنّر والتّوزيع.

12. رحيمة بن الصغير. (2019/ 2020). تمثلات المخيال الاجتماعي عند المثقف الجزائري – المثقف الأوراسي نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع. الجزائر، تخصص علم الاجتماع الدّيني، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2.

13. رضا مسعد السعيد. (04, 2021). المنهج المختلط: مدخل تكاملي لدمج البيانات الكمية والنوعية في البحث التربوي. *مجلة تربويات الرياضيات، 24*(05).

14. سامية خبيزي. (2022). مطبوعة بيداغوجية في المقاربات الكمية والكيفية موجّهة لفائدة طلبة السّنة الأولى ماستر الاتصال الجماهيري والوسائط الجيدة. 01 – 163. الجزائر العاصمة، قسم علوم الاتصال كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3.

15. سعادي سرّاي. (09, 2018). البراديغم في علوم الإعلام والاتصال، بين الضرورة المنهجية والصعوبات البحثية الإجرائية. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 07*(28)، الصفحات 393 – 422.

16. سعيد لوصيف. (2016). التفكير المنهجي في الظواهر الاتصالية: التّعقيد، التّجاسر المعرفي بين التّخصصات والتموقع الابستمولوجي. تأليف سعيد لوصيف، نصر الدين لعياضي، عزيز لعبان، مخلوف بوكروح، و رضوان بوجمعة، *التفكير في منهيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري – التموقعات الابستمولوجية والتقاطعات المعرفية –*. الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3: مخبر بحث:استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر.

17. عبد الرحيم بن بوزيان. (12, 2022). تحليل المحتوى بين الكم والكيف. *مجلة الإعلام والمجتمع، 06*(02).

18. عبد الفتّاح خضر. (1993). *أزمة البحث العلمي في العالم العربي* (الإصدار 03). الرّياض/ المملكة العربية السعودية: مكتب صلاح الحجيلان.

19. عبد الله بن محمد الرفاعي. (04, 2024). البحوث المختلطة وتطبيقاتها في الدراسات الإعلامية: رؤية تحليلية نقدية. *مجلة البحوث الإعلامية*(70)، الصفحات 753 – 832. doi:https://doi.org/10.21608/jsb.2024.238130.1650

20. علال قاشي. (01, 2021). المنهج المقارن في البحث العلمي في ميدان الدراسات القانونية. *مجلة الاستيعاب*(07).

21. فريدة بن عمروش. (15 09, 2020). المقاربة الكمية والكيفية في ضوء التجربة البحثية في علوم الإعلام والاتصال. 293 – 310.

22. فضيل دليو. (2015). *عناصر منهجية في العلوم الاجتماعية* (الإصدار 01). قسنطينة/ الجزائر، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والتّرجمة – جامعة قسنطينة 3.

23. فضيل دليو. (2020). منهج التحليل الوثائقي: تعدد مفهومي وإجرائي. *مجلة العلوم الإنسانية، 07*(01).

24. فضيل دليو. (2022). *البحوث الكيفية: الأسس والمناهج* (الإصدار 01). قسنطينة الجزائر: منشورات ألفا للوثائق.

25. فضيل دليو. (08 12, 2022). مقابلة علمية في منهجيات البحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية. (يعقوب بن الصغير، المحاور)

26. فضيل دليو. (17 04, 2024). مقابلة علمية حول الفروقات في بعض المفاهيم المنهجية. الجزائر.

27. لامية مجدوب. (2023). خصوصية المنهج المقارن وآليات تطبيقه. *مجلة الحقوق والعلوم السياسية، 10*(01)، الصفحات 287 – 300. تم الاسترداد من https://asjp.cerist.dz/en/article/217166

28. محاضرة حول المنهج المقارن. (بلا تاريخ). *محاضرات على منصة مودل – جامعة المسيلة*. تاريخ الاسترداد 21 10, 2024، من https://elearning.univ-msila.dz/moodle/pluginfile.php/664924/mod_folder/content/0/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D9%86.pdf?forcedownload=1

29. محسن بالقسم. (06, 2023). المنهج الكمي والكيفي في الدراسات الاجتماعية: النظرية والممارسة. *مجلة التكامل في العلوم الاجتماعية والرياضية، 07*(01)، الصفحات 90 – 116.

30. محمّد شيّا. (08 10, 2018). محاضرة علمية حول المنهجيات الكمية والكيفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. لبنان، المعهد العالي للدكتوراه – الجامعة اللبنانية.

31. موريس أنجرس. (2004). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية*. (بوزيد صحراوي وأخرون، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنّشر.

32. موريس أنجرس. (2004). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية – تدريبات عملية –*. (بوزيد صحراوي وآخرون، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنّشر.

33. مي العبد الله، و عبد الكريم شين. (2012). *المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال – المشروع العربي لتوحيد المصطلحات* – (الإصدار 01). بيروت/ لبنان: دار النّهضة العربية.

34. ميادة القاسم. (02 04, 2021). الفوارق بين المناهج الكيفية والمناهج الكمية في البحوث الاجتماعية – دراسة لتحقيق التكامل البحثي بين المنهجين. *المجلة العربية للنشر العلمي*(30)، 332 – 358.

35. نصر الدين لعياضي. (2016). علوم الإعلام والاتصال: "من التفكير بالمنهج إلى التفكير في المنهج". تأليف نصر الدين لعياضي، *التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري – التموقعات الابستيمولوجية والتقاطعات المعرفية –*. الجزائر، كلية علوم الإعلام والاتصال – جامعة الجزائر 3: مخبر إستخدامات وتلقي المنتجات الثقافية في الجزائر.

36. نصر الدين لعيّاضي. (24 11, 2019). البحوث الكيفية في علوم الإعلام والاتصال: إضاءات نظرية ومسالك تطبيقية. *مجلّة الباحث الإعلامي، 12*(50)، الصفحات 102 – 113.

37. نصر الدين لعيّاضي. (17 04, 2024). مقابلة علمية حول الفروقات في بعض المفاهيم المنهجية. الجزئار.

38. نعمة محمد السّيد مصطفى. (06, 2020). مجموعة النقاش البؤرية: الأسس النظرية والاعتبارات المنهجية. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 09*(03)، 163 – 189.

39. هاني إبراهيم. (05 01, 2023). تكامل المنهجين الكمي والكيفي في سبيل نجاح البحوث السوسيولوجية الميدانية (دراسة سوسيولوجية تحليلية). *مجلة الذاكرة، 11*(01)، 147 – 164.

40. يعقوب بن الصغير. (2023). مطبوعة بيداغوجية في مقياس "مخبر البحث" موجّهة لفائدة السّنة الثانية ماستر، تخصص صحافة مطبوعة وإلكترونية. قسنطينة، فسم الصحافة، كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري، جامعة قسنطينة 3، الجزائر. doi:http://dx.doi.org/10.13140/RG.2.2.19791.87202

ب. قائمة المراجع باللغات الأجنبية:

1. A. Jabar, M., Sidi, F., Mohd Hasan, S., Abdul ghani, A., & Ibrahim, H. (2009, 11). An Investigation into Methods and Concepts of Qualitative Research in Information System Research. (C. C. Education, Ed.) *Computer and Information Science, 02*, pp. 47 - 54.

2. Bao, K. (2024). Qualitative and Quantitative Approaches. In *Applied Linguistics and Language Education Research Methods* (pp. 29 - 40). IGI Global Scientific Publishing. doi:10.4018/979-8-3693-2603-9.ch003

3. Cabin et autres, P. (1998). *La communication; Etat de savoir.* Auxerre/ France: Ed science humaines.

4. Ellis, P. (2024). Research methods: qualitative observation. *Wounds UK, 20*(01). doi:https://wounds-uk.com/wp-content/uploads/2024/02/WUK_2023_20_1_PE_research-web.pdf

5. Grand Canyon University. (2023, 10 09). *Qualitative vs. Quantitative Research: What's the Difference?* Retrieved 02 13, 2024, from Grand Canyon University: https://www.gcu.edu/blog/doctoral-journey/qualitative-vs-quantitative-research-whats-difference

6. Jiménez, S., Torres, V., Bracho-Fuenmayor, P., & Alzate, L. (2024). Qualitative and quantitative approach: a methodological combination in currenteducational contexts. *03*. doi:https://doi.org/10.56294/mw2024658

7. Kamal, M. (2017). Qualitative analysis of social data.

8. Kumar, A. (2023, 07). Observation Method. *13*(06). Retrieved from https://www.researchgate.net/publication/360808469_OBSERVATION_METHOD#fullTextFileContent

9. Manzano, A. (2022, 09 15). Conducting focus groups in realist evaluation. *European Evaluation Society, 28*(04).

10. MANZANO, A. (n.d.). *Les focus groups*. Retrieved 02 22, 2025, from https://scienceetbiencommun.pressbooks.pub/evaluationpolpub/chapter/les-focus-groups/

11. Masue, O., Idda L, S., & Anasel, M. (2013, 11). The Qualitative-Quantitative'Disparities' in Social Science Research: What Does Qualitative Comparative Analysis (QCA) Brings in to Bridge the Gap? *Asian Social Science*, pp. 211 - 221.

12. Maykut, P., & Morehouse, R. (1994). *Beginning Qualitative Research - A Philosophic and Practical Guide* -. London & Washington, D.C.: The Falmer Press Teachers' Library.

13. McLead, S. (2023, 12 18). *Qualitative Vs Quantitative Research Methods & Data Analysis*. Retrieved 02 14, 2025, from SimplyPsychology: https://www.simplypsychology.org/qualitative-quantitative.html

14. Mebarki, A. (2025). Paradigmes de recherche… Entre sciences ! Dans U. d.–M. l'Unité de Recherche en Sciences Sociales et Santé – GRAS (Éd.), *Journée d'étude sur la santé mentale.* Oran, Algeria. Récupéré sur https://www.researchgate.net/publication/390093181_Paradigmes_de_recherche_Entre_sciences

USA: University of Chicago .*Social Work Research* .(1960) .Norman A. Polansky .15 .Press

16. Oulddjaballah, S. (2023, 03 28). In-depth interviews : knowledge- producing Dialogue. *Journal of Human and Society sciences*, *12*(01), pp. 449 - 465. Retrieved from file:///C:/Users/DELL%20BEL-INFO/Downloads/in-depth-interview_-knowledge-producing-dialogue.pdf

17. Rutledge, P., & Hogg, J. (2020, 09). In-Depth Interviewing. doi:10.1002/9781119011071.iemp0019

18. Sciences, NIH Office of Behavioral and Social. (2018). *Best practices for mixed methods research in the health sciences* (02 ed.). Bethesda: National Institutes of Health. Retrieved 02 18, 2025, from Harvard Catalyst: https://catalyst.harvard.edu/community-engagement/mmr/

19. Simon. F Kraus .(2023 ,02 28) .The Method of Observation in Science Education: Characteristic Dimensions from an Educational Perspective .*Science & Education* ، .1068 - 1033 ،*33*doi:https://doi.org/10.1007/s11191-023-00422-x

20. Uwamusi, C., & Ajisebiyawo, A. (2023, 05 - 06). Participant Observation as Research Methodology: Assessing the Defects of Qualitative Observational Data as Research Tools. *05*(03).

21. Wilson, B., Gigi, M.-J., & Casucci, T. (2021, 05 21). *Understanding Quantitative and Qualitative Approaches*. Retrieved 02 19, 2025, from ACCELERATE: https://accelerate.uofuhealth.utah.edu/improvement/understanding-qualitative-and-quantitative-approac